أَمامكَ
فُرصةٌ واحِدة!
بقلم وليم مكدونلد

# أمامك فرصة واحدة

للمؤلف
**وليم ماكدونالد**

رقم التسجيل الدولي: ISBN 0-88873-067-5
© حقوق الطبع والنشر محفوظة
ترجمة وتوضيب: معهد عمواس للكتاب المقدس
مراجعة لغوية: جميل إرشيد
معهد عمواس للكتاب المقدس
كانون ثاني ٢٠١١

لا يجوز نسخ أو طباعة أو تصوير أو إنتاج أي من فصول هذا الكتاب بدون إذن خطي مسبق من صاحب الحقوق، لكن نسمح بإستعمال إقتباسات منه في المجلات أو الدراسات أو المحاضرات مع ذكر المصدر وأصحاب الحقوق.

# المؤلف وليم مكدونلد

ولد وليم مكدونلد في نيوانجلاند، تخرج من جامعة هارفارد قسم إدارة الأعمال، خدم في مناصب حكومية عديدة حتى إنتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن ثم تفرَّغ لخدمة الربّ في حقل التعليم والتأليف والتلمذة، وقد عَلّم كلمة اللّه لسنين طويلة في أمريكا ودول عديدة في أنحاء العالم. له مؤلفات تزيد عن ١٢٠ كتاباً وقد كتب مقالات عديدة في المجلات المسيحية. من مؤلفاته التي نالت إنتشاراً وشهرة واسعة في أنحاء العالم كتاب «التلمذة الحقيقية» و «تفسير الكتاب المقدس للمؤمن» الذي تمَّت ترجمته حتى الآن لأكثر من خمسة وعشرين لغة بما في ذلك اللغة العربية.

إنتقل المؤلف إلى حضرة سيده الذي كان يحبه ويخدمه، في شهر كانون أول سنة ٢٠٠٦ عن عمر يناهز ٩١ عاماً قضاها في العطاء المتواصل مستمداً أفكاره من كلمة اللّه الحية غير المتغيّرة.

الناشر - معهد عمواس ٢٠١١

# أمامك فرصة واحدة

إن هذا الكتاب لمؤلفه وليم ماكدونالد، ليس بكتاب عادي لمجرد متعة القراءة، لكن قراءته ستُحدث فيك تغييراً جوهرياً إن أنت تجاوبت مع التساؤلات والتحديات التي وردت فيه وسوف يجعل منك مؤمناً ناضجاً حقاً.

إنه يعالج المواضيع التي تواجه كل مؤمن وتضع أمامك التحدي الذي لا بد منه لكي يُحدث فيك النمو الروحي ويعطيك قوة في الشهادة والثبات في الإيمان.

عند الإقبال على قراءة هذا الكتاب أُطلب من اللّه أن يفتح قلبك وذهنك لكي تفهم ما يأتيك به من أفكار روحية مهمة ولكي تتعامل بها بجدية وتتخذ قراراً حاسماً بما يختص بهذه التعاليم والأفكار التي سوف تعطيك نقلة روحية قوية ونضوجاً في الفكر المسيحي الحقّ والسلوك اليومي الصحيح كمؤمن حقيقي.

لدراسة الكتاب المقدس ومواضيع أخرى، أدخل إلى الموقع التالي:

www.lifeismore.net

حيث تجد امكانية الإشتراك بدراسة منتظمة لأهم مواضيع الكتاب المقدس والنمو الروحي في مكان واحد.

# أمامك فرصة واحدة فقط

وصل فرحات حديثاً إلى نيويورك، وبينما كان يتجوّل مستكشفاً المدينة الكبيرة إذا بمجرم يقف أمامه شاهراً سلاحه مطالباً إياه: «إما مالك أو حياتك!».

أجابه فرحات: «خذ حياتي، فإني أريد مالي لأيام شيخوختي».

لقد جابه فرحات مسألة الحياة وقابلها وجهاً لوجه حتى وإن كان ردّه مبعث سخرية بما فيه الكفاية لتجريد أي مجرم من سلاحه.

إننا جميعاً نجابه مسألة الحياة وينبغي أن نقرر ما نحن مزمعون أن نعمل بها.

فلنفكِّر بالحياة – حياتك، مهنتك، حاضرك ومستقبلك الأبدي، قد لا ترى أهمية التركّيز على شخص ليس ذا أهمية وغامض كنفسك، قد لا تشعر بالراحة أن تكون مركزَ النقاش، ولكن لا تدَع ذلك الشعور ينزل بك إلى مرتبة ثانوية، وواقع الأمر هو أن هناك قضايا شائكة في الحياة ينبغي عليك مواجهتها، والطريقة التي تحيا بها تحدد ماذا ستكونه في الوقت الحاضر وفي الأبدية.

إن حياتك مهمة لأنك مخلوق فريد، وكما أن أي ورقتي عشب لا تتشابهان، ولا تتشابه أي ندفتي ثلج ولا أي حبّتي رمل، كذلك الأمر فإنه لا يتشابه أي شخصين، وحتى التوأمان المتماثلان يختلفان عن بعضهما البعض والقالب الذي تشكّلتَ عليه إستُخدم مرة واحدة فقط، ثم أُلقيَ به بعيداً. لن يكون **أنت** آخر أبداً. إن لك دوراً في الحياة لا يستطيع سواك أن يلعبه، وزاوية لا يستطيع أحد غيرك أن يملأها، أضف إلى ذلك حقيقة أن لك حياة واحدة فقط، وأنك تمر في هذا الطريق مرة واحدة فقط.

قال أحدهم: «الحياة مثل قطعة النقود تستطيع أن تصرفها بأية طريقة شئت، ولكنك تصرفها لمرة واحدة فقط»، إن السؤال الذي يتعيَّن على كل واحد منا أن يواجهه هو، «ماذا أنوي العمل بحياتي؟ كيف يمكنني أن أجعلها ذات قيمة بحقّ؟» نحن لا نريد أن نكون مثل ذلك الشخص الذي قال: «أنا في السبعين ولم أنجز شيئاً في حياتي». نحن لا نريد أن نكون مشغولين جداً في كسب عيشنا بحيث نغفل عيش حياتنا، وعندما تدركنا الشيخوخة نريد أن نكون قادرين أن ننظر إلى

الوراء بقدرٍ من الرضى والإنجاز، كما نريد أن نكون قادرين على التطلُّع إلى الأمام بثقة وإنتظار للحياة الآتية. فلنُفَكِّر، بعد هذا ببعض قضايا الحياة الكبرى وردّ فعلنا إزاءَها.

## هل أنا حدث كوني عَرَضي؟

إن أحد أولى المواضيع التي سنواجهها هو الغاية من الحياة. إننا نجد أنفسنا هاهنا على كوكب الأرض ونسأل أنفسنا: «لماذا ولدت؟ ما الهدف من كل ذلك؟»

يعتمد الكثير من الأمور على رأينا حول طريقة مجيئنا إلى هنا في المقام الأول، فإذا كنا هنا نتيجة مصادفة، فإن الأمر لا يهم في الواقع، فنحن لا نختلف عن جرثومة تطفو على سطح بركة من الحمأة، أو مثل بقرة تمضغ العشب في المرعى، فمصيرنا هو القبر. وإذا كنا، من جهة أخرى، خليقة اللّه المميزة، فإن لنا مصيراً أسمى وهدفاً أرفع. لم أتمكن أبداً من أن أجد تعريفاً أفضل لذلك الهدف من ذلك الذي ورد في خلاصة قانون الإيمان: «إن غاية الإنسان الأساسية هي تمجيد اللّه والتمتع به إلى الأبد».

ثمة إقتباسان آخران حول الموضوع جديران بالإعتبار، فقد قال ف. و. بوريهام: «إن من واجب كل شخص أن يعدَّ لنفسه عملاً شريفاً يقوم به عندما يكون متمدداً في قبره». وكَتبَ وليم جيمس قائلاً: «إن أفضل فائدة نجنيها من الحياة هي أن نقضيها من أجل شيء يدوم أكثر منها».

إنها لمأساة أن نَمضي في الحياة إلى النهاية ولا نُفكر أبداً بغايتها الحقيقية، وماذا نحن فاعلون لتحقيق هذه الغاية.

## إمكانيات الحياة للخير أو...

ثمة إعتبار آخر يجب أن نقف عنده ألا وهو الإمكانية الهائلة للحياة- للخير، للشرّ أو لمجرّد الضَّياع.

فكِّر مثلاً، بالشخص الذي يُدعى موسى وكيف قاد شعبه من العبودية في مصر إلى الحياة الجديدة في كنعان، فكِّر بالرسول بولس الذي حمل الإنجيل إلى آسيا الصغرى عبر أوروبا وبهذا أَثَّر على مجرى أمور العالم لقرون لاحقة، أو فكِّر بأبراهام لنكولن، رجل الغابة، الذي هبَّ في ساعة الأزمة لينزِعَ قيود الملايين.

لكن كان هناك نيرون أيضاً، الإمبراطور الروماني، عديم القلب، الذي تسبب في إلقاء المسيحيين في القار، ثم إشعال النار فيهم لينير الإضاءة في حدائقه التي كان يقيم فيها حفلاته. ثم هناك جوزيف ستالين ونظام حكمه المتَّسم بالقسوة والوحشية والذي أهلك فيه الملايين ذبحاً، وأذاق ملايين أخرى العذاب في معسكرات التعذيب (التي أنشأها سنة ١٩٣٠)، وهناك أدولف هتلر الذي كان مسؤولاً عن موت عشرين مليون من بني البشر خلال الحرب العالمية الثانية.

على أن هناك أفراداً آخرين عاشوا ولم يُفطِنِ إلى صلاحهم أو قسوتهم، إنهم ببساطة فئة الضياع. تشمل هذه الطبقة السكير الذي تشكل مهنته التنقُّل في شارع مليء بالحانات ويسعى للدخول لأرخص الفنادق، والبحث عن المومسات القابعات في حيّ المباغي تَبعْنَ أجسادهنَّ إلى رجال فاسقين. وتشتمل القائمة على العدد الأكبر من الذين لم تَرقُ حياتهم أبداً إلى أعلى من مستوى رتابة العمل الكئيب والمأكل والمشرب والتلفزيون.

يُجسِّد كل طفل يولد في العالم إمكانيات واسعة، وعلى كل إنسان أن يقرر في آخر الأمر فيما إذا كان سيصبح بركة أم لعنة أم شخصاً بليداً.

## أيامك معدودة!

قبل أن تطول بنا أيام العمر سنقف وجهاً لوجه أمام الحقيقة بأن الحياة قصيرة جداً، إنها كالعشب، ينمو، يُقطع ويطير، وهي كالريح والبخار، تولّي وتنتقل مثل مكّوك الحائك الذي يمرُّ مسرعاً عبر المِنساج كأنه طلقة من فوهة بندقية، وهي مثل عرض الكفّ، رحلة قصيرة عبر راحة اليد. وقد كان ويل هاوتون مُحِقاً عندما قال أن المهد والتابوت مصنوعان من نفس الشجرة.

نرى الآن طفلة بإبتسامتها الصغيرة الظريفة وبجلدها البضّ الناعم، تتفرَّس بمحبيها بوداعة، إنها فتّانة في عربة نومها القرنفليَّة، وما أن يمتد بها العمر سنوات قلائل حتى تراها تلبس رداءً تُذيله حواشي من النسيج المخرَّم وبشرائط زينة، وفي هنيهة تلازم البيت ألعابها وفي أخرى تتقافز مع الحبل في رصيف الشارع. وسرعان ما تصبح فتاة مراهقة منشرحة الصدر واعية للباسها ومتنبهة لمستحضرات التجميل، تخرج في أول موعد. أما الآن فتجد في الزواج والأمومة تحقيق طموحها، تصبح متزنة ومستقرة. وأخيراً هي مواطنة كبيرة السن، ناضجة، هادئة الطبع مُمتلئةً حكمةً مُكتَسَبةً بالخبرةِ.

والآن خذ هذا الولد الطفل يتلوى ويتعرَّج بحركات سريعة وهو في قماط أزرق وسرعان ما يصبح ولداً صغيراً مزوَّد باطنياً بنظام علم النفس، يعرف كيف يدفع والديه نحو حدود الصبر ثم يتراجع بحذر شديد، وبجيوب مليئة بالديدان والضفادع والمسامير والحجارة يترنح فوق درّاجته الأولى، وقد يتصرف كشيطان خلال النهار، ولكن عندما يغفو في سريره هو ملاك بلا أدنى شكّ. في سني المراهقة تحذوه رغبةٌ شديدة كي ينال رضى أقرانه واستحسانهم، ويغدو أكثر إعتناء بملابسه ومظهره. إنه جريء وخجول، واثق من نفسه ومتقلِّب، رومانسي، أعزب راسخ العزم والثبات، وإذ يصبح رجلاً يغدو صاحب إنجازات يحمل أعباء أسرته ومسئوليات العمل، يحاول أن يحشُرَ ثلاثين ساعة في يوم مؤلف من أربعة وعشرين ليزيد دخله لملاءَمة ميزانية متأثرة بتضخُّم الأسعار. وعندما تَسلُك الأمور معه ويصبحُ جَدًّا وعجوزاً لا يعُد جسمه يتوازن مع روحه، ينظر إلى الشباب الوسيمين ويقول «لقد كنت هكذا ذات يوم!»

فلا عجب أن ناقداً للفنون في الرابعة والثمانين يَصف نفسَه بالواقف عند ركن في الشارع، قبعته في يده يستجدي السابلة أن يُلقوا بدقائقهم غير المستفاد منها.

فإذا كان قِصَر الحياة يُعلِّمنا شيئاً على الإطلاق، فإنما يُعلِّمنا بأن ما نخطط لأن نعمله، ينبغي أن نعمله بسرعة لأن الزمن لا ينتظر .

## الآن... تجربة أداءٍ للأبدية

يجب أن يفكر كل واحد منا بالأبدية في الوقت المناسب وعما قريب سينقضي الزمن وتبدأ الأبدية. إن فكرة الأبدية هي إحدى أعظم الأفكار التي يمكن أن تشغل بال الإنسان، ومع ذلك لم يُؤتَ أي عقل بشري من الكبر بما فيه الكفاية لكي يستوعبها إستيعاباً تاماً.

ما هي الأبدية؟ إنها عمر اللّه، محيط بلا شواطئ، إنها ديمومة الحياة الآتية اللامتناهية، إنها أبدُ الآبدين.

فإذا كانت كل حبة رمل على كل سواحل العالم تمثل سنة واحدة، فإن مجموع السنوات لن يساوي الأبدية. إنها بلا ديمومة وغير محدودة وعصِيت عن أن تُحصى.

إننا جميعاً سنواجه الحقيقة المتمثلة في أننا سوف نحيا في مكان ما إلى الأبد،

إنها فكرة توقع في النفس رهبةً وروعة حتى أن عقولنا تُقلِّب جوانبَها في سعي لا طائل تحته لكي تفهَمَها. إن لنا روحاً خالدة وهذا يعني بطبيعة الحال أن هذه الحياة الحاضرة ليست القصة بكاملها، إنها فصل من مسرحية متواصلة أن تحيا وكأن هذه الحياة هي كل شيء، يعني أنك تُبادل المحدود باللامحدود وأن تنسى أن لنا مَهَمات في المصير.

«هل تؤمن بأن الدهر الآتي أعظم بكثير من الزمن الحاضر، وأن القادم أكبر من الحالي، وأن هناك دهوراً ودهورًا أمامنا، وأنه مهما تطول حياتنا هنا على الأرض ما هي إلا شذرة مما سوف يكون؟ هل تؤمن أيضاً أن خدمتنا في الدهور الآتية هي أهم بكثير مما نفعله في هذا العصر؟» (أوستن سباركس)

## هناك من يراقبك

قلنا أن الأبدية هي واحدة من الأفكار العظيمة التي تشغل فكر الإنسان، حسناً، إلا أن الفكرة الأعظم من كل الأفكار هي فكرة اللّه، التي ستُرغِم كل إنسانٍ، إن عاجلاً أم آجلاً، أن يفكر باللّه، ويجب عليه أن يقرر إن كان اللّه موجوداً ام لا، وإذا كان موجوداً، ماذا يشبه.

من هو اللّه؟ اللّه روح، غير محدود، أزلي، وغير متغير في كينونته، كلّه حكمة وقدرة وقداسة وعدل وصلاح وحق.

كيف نعرف أنه يوجد إله؟ لقد ظهر في الخليقة في الضمير في الكتاب المقدس وفي شخص يسوع المسيح. فأولاً ظهر في الخليقة. فالخليقة تتطلّب خالقاً، والتصميم يتطلّب مصمماً، والمِقراب (التلسكوب) يُظهِرهُ في نظام وعظمة كونه، ويُظهِرهُ المُجهر (الميكروسكوب) في نظام الذرَّة وتعقيدها الذي هو صمَّمه.

ثم يظهر اللّه في الضمير، في داخل كل شخص إدراكاً فطرياً بكائن أعظم، تماماً كآلة الرصد وتماماً كآلة المراقبة تصادق أو تدين أفعال الإنسان نفسه، وقد يُخنِق الصوت الداخلي عند الإنسان أو يُخفضه حتى يغدو همساً، وقد تجعله فكرة اللّه منزعج الخاطر إلى الحدِّ الذي ينكِر وجوده. لكن الشهادة للّه لا تزال هناك، عميقةً في داخل ضمير الإنسان.

## تعليم شفهي مقتضب:

لقد أظهر اللّه ذاته في الكتاب المقدس، ففيه نتعلم أنه كلي القدرة، كلي المعرفة، وأنه موجود في كل مكان وفي نفس الآن، ونتعلم أنه قدوس، بارّ وعادل، لكنه أيضاً رؤوف، رحوم ومحب، ونتعلم أنه لا يخلق فحسب، بل يسند ويعضُد ويحفظ ويرشد ويفدي ويُخلِّص. وبطبيعة الحال يظهر اللّه في الرب يسوع المسيح، فإن كنتَ تريد أن تعرف ماذا يشبه اللّه، أنظر إلى يسوع، لقد جاء ليعلن اللّه للعالم.

في ميدان الطرف الأغرّ في لندن ينتصب عمود طويل يعلوه تمثالٌ للّورد نيلسون. لكن الأدميرال بعيداً عن مرأى العين بحيث لا يستطيع أحد أن يراه بوضوح سوى طير الحَمام. وذات مرة عندما أُقيم معرض عامٌ كبير في إنكلترا، كلّفت السلطات أحد النحاتين أن يصنع نسخة ثانية مطابقة لتمثال نلسون ووضعته فوق منصة على مستوى الارض، فكان باستطاعة الذين حضروا المعرض أن يروا من مسافة قريبة ما كان بعيداً وغامضاً حتى ذلك الوقت.

إن يسوع هو اللّه ظاهراً في الجسد، وعندما رآه الناس، رأوا اللّه الآب. إن المسيح هو الصورة المُعبِّرة عن شخص اللّه.

صحيح أنه عاجلاً أم آجلاً سيواجه كل شخص حقيقة وجود اللّه، ولكن الأكثر من هذا، أنه عاجلاً أم آجلاً سيواجه كل شخص اللّه، فإن لدينا موعداً نهائياً معه. تُرى ماذا يشبه هذا اللقاء؟ وماذا يمكننا أن نفعله الآن إستعداداً لهذا اللقاء؟ إنه أمر يتعيَّن علينا التفكير فيه ملياً.

## هَلُمَّ إلى المواجهة

يجب على كل إنسان مفكر أن يأخذه العجب حول وجود الشر في العالم. فالخطيئة في كل مكان، نراها حولنا في المشاهد القذرة على شاشات التلفزيون، على ملصقات السيارات، وعلى الرسومات التي يغلب عليها الشكل الفاحش في الأماكن العامة، نراها في الإختلاط في العلاقات الجنسية، في السُكر، في السرقة، في القتل، في إبتزاز الأموال بطرق غير مشروعة، في الفساد وهلم جرا. وحتى الطفل المدلّل يُظهِر أنانية، وحِدّةَ خُلق وعصيان.

نسمع الخطيئة حولنا، تجديفاً، نِكاتاً قبيحة وكلمات وتعابير مزدوجة المعنى.

والأسوأ من كل هذا أننا نجد ذلك في أنفسنا، في أفكارنا وعاداتنا وفي تركيزنا الشديد على ذواتنا. فإن كنا صادقين، ينبغي أن نعترف بأن ما يكون في داخلنا أسوأ بكثير من أي عمل قمنا به.

ونسأل أنفسنا: «كيف بدأت الخطيئة؟ كيف يمكنني أن أتغلَّب عليها في هذه الحياة؟ كيف يمكنني أن أتحرر من الشعور بالذنب ومن الدينونة في الحياة الآتية؟»

إن فلسفة الشخص عن الحياة يجب أن تعالِج دون ريب موضوع الخطيئة برمته وتُعدَّ أجوبة صادقة لا سبيل إلى إنكارها.

## الموت والضرائب

الموت هو الدودة في تفاحة الحياة. إنه أكبر مُعكِّر للفرح، يُسدل الستار على الآمال، والطموحات، والأحلام، على الفرح والمسرات. أراد رجلٌ أن يصبح ثرياً في سوق الأوراق المالية، ولما أبلغه أحدهم أنه يستطيع أن يمتلك ما يشاء، قال الرجل أنه يريد أن يقرأ الصحيفة بعد سنة من ذلك اليوم، وكانت فكرته بطبيعة الحال أن يتمكَّن من شراء الأسهم التي تُحرِز أكبر إرتفاع خلال تلك السنة، وعندما حصل على الصحيفة أخذ يتأمل بتلذذ وحبورٍ بمقدار ما سيصيب من الغِنى، ولكن بعدئذ نظر إلى صفحة إعلانات الموتى، فإذا إسمه ضمنهم.

يتصدَّر الموت والضرائب مراتب الشرف الأولى كونهما محتومين، ونرى ذلك يحدث مع آخرين، ولكن لا يمكننا بوجه من الوجوه أن نتصور ذلك يحدث معنا، ولكننا غير مُحصَّنين لأنه سيأتينا كما يأتي لكل الناس.

إننا نُذكَّر بالموت دوماً، بالنعوش، بمواكب الجنازات وبالقبور. والواقع أننا قد اعتدنا حقاً على حقيقة الموت، لأننا في كل مرة نخلد إلى النوم نمثِّل صورة عن الموت، والجسد يرقد في الموت.

يُؤثِر الكثير من الناس ألّا يفكروا بذلك الموضوع. ففي اللغة اليابانية الكلمة «أربع» تعني أيضاً «موت»، لذلك لا يوجد في الفنادق اليابانية طبقة رابعة. على أية حال فالطبقة التي تعلو الطبقة الثالثة لا تزال هي الرابعة بصرف النظر عما يدعونها.

في اللحظة التي يحتضر فيها شخص، يذهب لملاقاة اللّه، إنها لحظة إدراك كامل

ومهابة رهيبة قد تُعمي عيونَنا عن الواقع في هذه الحياة ولكنها تنفتح على وسعها بعدما نموت. على أنه من الحماقة أن نتصرف كما لو أننا لن نُقبل على الموت أبداً، وسيكون من باب المعقول أن نواجه الحقيقة بما هو حقٌ ونستعد لهذا الموعد المحتوم.

## الذي تزرعه إياه تحصد

يقول الكتاب المقدس أنه «بعد الموت تأتي الدينونة» هذه كلمات صعبة! إنها تعني أن كل إنسان سيقف أمام اللّه يوماً ما، وحينئذ الملابس والمركز والشرف والثراء والإعتدال والتبجُّح لن تعود تعني شيئاً، سينكشف كل شيء، وكل كلمة باطلة، وكل عمل عشوائي، وكل أفكار ودوافع القلب، وسوف تخترق أشعة اللّه الهائلة باطن وظاهر الإنسان، ولن يفلت شيء من فحصه. فلا بُدّ من وجود دينونة، والكتاب المقدس يعلنها، وقداسة اللّه تقتضيها، والعدالة تطالبها، فالكتاب المقدس يُعلن عنها بالقول المقدّس: «لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْماً هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ مُقَدِّماً لِلْجَمِيعِ إِيمَاناً إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أعمال٣١:١٧). بكلمات أخرى، فإن الدينونة أكيدة كقيامة المسيح، فلو لم يقم المسيح، حينئذٍ لن يعود هناك ما يَقلَق البشر بسببه، لكنه قام.

إن ما تقتضيه قداسة اللّه هو أن اللّه لا يستطيع أن يتغاضى عن الخطيئة أو يعالجها باستخفاف. هنالك دَيْن يجب أن يُسدَّد، وعقاب يأخذ مجراه و حكمٌ يُنفَّذ، والعدالة تتطلب ذلك. ليست كل الحسابات مُسوّاة في هذه الحياة. جرائم مستمرّة عسيرة على الحلّ. ديون لا تُدفع، أخطاء لم يتم علاجها.

لذا أتوسل إليك أن تأخذ في الحسبان حقيقة حتميَّة الدينونة، بيد أن الإعتراف بحقيقتها غير كاف، عليك أن تبحث حتى تجد محام يدافع عنك، وحجَّة تحلُّك من ذنوبك في مواجهة أدلّة بارزة ضدك بإرتكاب الخطيئة، فإذا لم تنجح في ذلك، ستصطدم بالحق المروِّع التالي – حقيقة الجحيم.

## لا حل وسط

إن الجحيم موضوع يجب أن يُعَالَج بقدر كبير من الحنو ورقَّة القلب بل حتى بالدموع، إنه موضوع نفضِّل بالحري أن نتجنبه من ناحية إنسانية، ونفضِّل ألا نؤمن بوجوده على الإطلاق، بل مما يبعث على المزيد من الراحة أن نؤمن

بخلاص كوني، أي أن الجميع سيخلصون في نهاية الأمر وحتى الشيطان. أو نُفضِّل أن يكون للبشر فرصة ثانية في الحياة القادمة، أو أن الموتى الأشرار سيبادون أي أنهم ينقطعون عن الوجود إلى الأبد. لكن أياً من هذه الخيارات غير متوفرّ لدينا. إن الكتاب المقدس يشدّد على وجود الجحيم.

لقد تكلم يسوع عن الجحيم أكثر مما عن السماء، ومن الواضح أنه آمن في كليهما، ومن البيِّن على السواء أنه إن لم يوجد الجحيم فلا توجد السماء، فإن الواحد منهما حقيقي كالآخر، ومن الغريب أن كثيراً من الناس الذين لا يؤمنون بالجحيم يقولون للآخرين دوماً بأن يذهبوا إلى هناك. إلى أين؟ هل إلى مكان خيالي؟

لا بد أن يوجد جحيم، وكما قال كلاو: «لا يمكن أن يكون مكان واحد فقط وموضع واحد لمريم ويهوذا، للِّص التائب وللِّص غير التائب، للرجال والنساء القديسين ولعشّاق الشهوة والجريمة العنيدين والساخرين.»

والسؤال المتعارف عليه الذي يحاول نقض وجود الجحيم هو: «كيف لإله المحبة أن يُبقي على جحيم أبدي؟» الجواب بطبيعة الحال هو أن اللّه لم يخلق الجحيم للجنس البشري، بل صممه لإبليس وأعوانه. وكما سنرى في القسم التالي، أن اللّه دفع ثمناً باهظاً لكي لا يذهب أي رجل أو إمرأة إلى جَهَنَّم، كما دبَّر طريقاً للهرب وقدّمها مجاناً للجميع. لكن لنفترض أن شخصاً ما يرفض قبول خطَّة اللّه، فماذا يحدث عندئذٍ؟ إنه يختار الجحيم بتعمُّد، لأنه لا يوجد خَيار آخر.

ينبغي على الناس العقلاء أن يفكروا ملياً بهذه الحقائق ويدركوا أنهم ما لم يقبلوا بالخَيار الأول فإن هذا العالم مع كل أشيائِه الجذابة ومشوقاته، سيكون السماء الوحيدة التي سيعرفونها.

## دُفع بالكامل!

نصل الآن إلى الحقيقة المركزية لكل التاريخ، حقيقة الجُلجثة، فإن فاتت هذه الحقيقة إنساناً، فقد يفوّت عليه كلَّ شيء.

ماذا حدث عند الجُلجثة؟ ماذا حدثَ! ألا تَعلَم؟

مات إبن اللّه الذي بلا خطيئة مات عن بني البشر الخطأة، الخالق لأجل خليقته، مات الراعي الوديع لأجل الخراف الضّالة.

دارت القصة التالية على ألسنة طلاب من صفوف الإبتدائية في مخيم صيفي: يبدو أن بعض الكائنات من الفضاء الخارجي قد هبطوا على الأرض وتبادلوا الأحاديث مع بعض الرجال، وقبل أن يمرّ وقت طويل، تطوَّر حديثهم إلى منافسةً في التباهي والتفاخر، وقد تحدّى الفضائيون خصومَهم الأرضيون بسؤالهم: «ماذا لديكم لتفتخروا به أيها الأرضيون؟»

وكان الردّ، «ألا تعرفون؟ لقد أنزَلنا مؤخراً رجلاً على القمر.»

«ماذا في ذلك! نحن نقوم بالسفر ما بين الكواكب منذ قرون، ألديكم شيء آخر؟»

وهكذا تواصل الحديث. لم يكن من المهم ما قاله الإنسانيون لأن الزوّار من الفضاء سوف يعرضون عليهم ما هو أفضل. أخيراً قال رجُل في إغتياظ شديد: «حسناً، لقد زار اللّه كوكبنا قبل ألفي عام.»

إستحوذ الإعجاب بالفضائيين آخر الأمر وتساءَلوا بتلهُّف، «أحقاً؟ هيّا أسرعوا! خذونا إليه لنتمكن من الإلتقاء به!»

كان على الرجل أن يجيب بإكتئاب: «لا نستطيع، لقد قتلناه!»

إننا نعلم الآن أن الرب يسوع ليس ميتاً، بل هو مخلصٌ حيّ قائم من بين الأموات. ولكن ما تفتقر إليه الأسطورة الدقة في العقيدة، لكنها تُصدمُك وأنت تصغي إليها، لقد زار اللّه هذه الأرض في شخص يسوع المسيح قبل ألفي سنة. مولوداً من العذراء مريم، إختُبِرَ خلال السنوات التي قضاها في الناصرة وانطلق في خدمته العلنية في سن الثلاثين مُقدماً نفسه على أنه المسيا! ولكنَّه إحتُقر واستهزئ به، ورُفِضَ من القادة ومن الشعب، أخيراً خانوه، فألقي القبض عليه

وحوكم بتهم ملفَّقة، ومع أن بيلاطس وجده بريئاً، إلا أنه سلَّمه إلى الجمهور الغاضب لكي يُصلب، وهكذا كان موته!

على أنه كان لموته مغزى أكثر من مجرد موت عابر، فقد وضع اللّه على إبنه جميع آثامنا. لقد مات المسيح بديلاً عن الخطأة، ودفع عقاب الخطايا التي كان علينا أن ندفعه، لقد مات الميتة التي كان علينا أن نموتها.

بعد ثلاثة أيام من موته، قام من القبر منتصراً على الموت والخطيئة والجحيم والشيطان. وبموته الكفاري وقيامته المجيدة هيَّأ طريقاً بها يُخلّص اللّه خطأة أشراراً دون أن يصفح عن خطاياهم أو يتغاضى عنها. هكذا وفّي يسوع تمّت كلّ مطالب اللّه العادلة ضد الخطيئة، لقد حمل عقاب التعدي على ناموس اللّه، لقد تمّم مَطالِب عدالته الصارمة.

لكن حقيقة أنه مات وقام ثانية لا تُخلِّص أي شخص تلقائياً، فالعطية يجب أن تُقبل، والغفران يجب أن يُقبل، والخلاص من الخطيئة يجب أن يُختار. إن عمل المسيح كافٍ للجميع لكنه فعّال فقط للذين يقبلونه. إن اللّه لا يأخذ أناساً إلى السماء لا يريدون هم أن يكونوا فيها، فإنه لن تكون لهم سماء، لأنهم سرعان ما سيُعيثون فيها فساداً لكل شخص آخر. أجل لقد أتم يسوع العمل الضروري لخلاصنا. أما الخطوة التالية فهي معتمدة علينا! وهي أهم خطوة يمكن أن نأخذها على عاتقنا لأن أهم شيء في الحياة هو أن نكون مُخلَّصين.

### لحظة الحق

إن السؤال التالي سؤال جيد لو سُئل من القلب! كيف يمكن أن أخلُص؟

أولاً، ينبغي أن يكون هنالك إدراك عميق الجذور بأنك إنسان خاطئ شرير وأنك تستحق جَهَنم إستحقاقاً تاماً وهو ما عناه الكاتب مارك توين عندما قال: «دخول السماء بالنعمة، فلو كانت بالإستحقاق لبقيت أنت خارجاً بينما يدخل عبدك». بجانب هذا الإقتناع الصادر من القلب ينبغي أن يكون هناك إشمئزاز عظيم من الخطيئة وإرتدادٌ عنها.

ثانياً، عليك أن تتخلى عن أية فكرة حول خلاص نفسك أو أن تساهم في خلاصك بأعمالك الصالحة أو بشخصيتك الفاضلة، عليك أن تأتي بموقف: «ليس بيدي ثمنٌ

أقدِّمه» عليك أن تأتي مُقِراً بالذَّنْب وطارحاً ذاتك عند رحمة عدل اللّه.

ثالثاً، عليك أن تؤمن بأن الرب يسوع قد مات بديلاً عنك، وأن دمه سُفك ليدفع ثمن خطاياك، ويجب أن تكون مقتنعاً بأنك أنت الذي كان يجب أن يموت، ولكنه مات عِوضاً عنك.

أخيراً، وبعمل إيمان حاسم ينبغي أن تقبل يسوع المسيح ربك ومخلصك الوحيد، وبقبوله رباً لكَ، تعترف أنك قاصر عن إدارة شؤون حياتك بنفسك وتسلِّم له القيادة كسيِّدك. فبقبوله مخلصاً أنت تقول أنه هو رجاؤك الوحيد لكي يخلصك من خطاياك ومن جهنّم، ويأخذك إلى السماء في آخر المطاف. عندما تفعل ذلك يمكنك أن تدرك بسلطان كلمة اللّه أن خطاياك قد غُفرت، وأنك ولدت ثانية وحصلت على الحياة الأبدية. أنت خليقة جديدة بالمسيح يسوع.

إن لم تكن أبداً قد فعلت هذا من قبل، فَلِمَ لا تفعله الآن؟ تُب عن خطاياك، آمن بالرب يسوع المسيح واعبُر من الموت إلى الحياة. إذا كنت تخشى أن يكلِّفك الكثير لكي تكون إنساناً مسيحياً مؤمناً، يمكنك أن تفكّر كم سيُكلِّفك الأمر ألا تكون مسيحياً مؤمناً.

## ما هي الخطوة التالية؟

لا تظنّ أنك عندما تتجدد بالإيمان تكون قد بلغت النهاية، الواقع أنها البداية فقط، إنها نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة – وعليك أن تشهد لهذه الحقيقة كمؤمن بالمعمودية.

إلى هنا تكون قد واجهت وبشجاعة بعضاً من أعظم قضايا الحياة، وتجاوبت معها بأسلوب حكيم. لكن هناك المزيد من الحقائق والقضايا التي عليك أن تواجهها، فما هي هذه الحقائق والقضايا؟

## لا وقت للتضييع!

لقد أدركت إلى الآن أن الحياة قصيرة بقدر ما تتعلق فرصة الخلاص بالأمر. الآن يرفع الزمن صاحب السلطة إصَبعهُ إلى أنفك ويقول: «زمن الخدمة أيضاً قصير وعليك أن تستغله إستغلالاً حسناً». إنها صدى لكلمات يسوع:

«يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (يوحنا٩:٤).

إن جميع خدام اللّه الذين كانوا فعّالين في خدمته، قد عملوا بإحساس ضرورة ملحة. قال خادم إبراهيم: «لا آكُلُ حَتَّى اتَكَلَّمَ كَلامي» (تكوين٢٤:٣٣). وقالت إيمي كارمايكل: «نذور اللّه ملقاة علي، سوف لا أَبقى لكي أعبث بالظلال أو أقطف الأزهار البرية حتى أُتمم عملي وأقدِّم حساباً»، وكتبت في مكان آخر:

«إثنتا عشرة ساعة قصار فقط.
لا تدَع الإحساس بالعجلة الملحة يذوى فينا أبداً أيها الراعي الصالح،
دعنا نبحث في الجبال معك دائماً.»

تبنّى أحد صانعي السيارات اليابانية شعاراً للتسويق، «نحن مُساقون»، وبمعنى آخر على المؤمن أن يُساق بإدراك بمدى ضخامة العمل الذي ينبغي أن يُنجَزْ وقِصَر الفترة الزمنية المخصصة لإنجازه.

قال الشاعر روبرت فروست:

«جميلة هي الغابات، المُعتمةٌ والعميقة،
وأنا لدي وعوداً ألتزم بها الآن
هي أن أجتاز أميالاً قبل أن أرقد.»

## إشتُريت، ودُفع الثمن!

ثمة إعتبار آخر يجب أن يستحوذ على إنتباه كل مؤمن ألا وهو حقيقة الفداء. إن أحد الأحداث العديدة التي تحدث عندما يصبح إنسان ما مسيحياً حقيقياً، هي أنه قد إفتُدي، أي أنه إشتُري مرة أخرى من سوق عبيد الخطيئة بواسطة الرب يسوع. نحن مُلكٌ للّه بالخليقة، لكننا ضللنا وأصبحنا مواطنين في مملكة الظلمة الشيطانية فافتدانا يسوع من مملكة عبودية الخطيئة والآن أصبحنا مُلكَه مرة أخرى.

لم يكن ثمن إفتداءَنا بالعملة المعدنية بل بدم المسيح الغالي، إنها علامة نعمة لا يُنطق بها، إنه مستعد أن يدفع ثمناً غالياً كهذا عن بشر مذنبين نظيرنا، بيد أن هذه هي القيمة التي أسبغها علينا.

ولأنه اشترانا فإننا لا نعود مُلكاً لذواتنا بل نحن مُلكٌ له إلى الأبد. هذا الحق وقع موقعاً مؤثراً في نفس شارلي ستاد وغيَّر كل إتجاه حياته: «لقد عرفت عن يسوع أنه مات عني لكني لم أفهم إطلاقاً أنه لو كان قد مات عني فإني لا أعود مُلكاً لذاتي. فالفداء يعني إستعادة أو إسترداد بالشراء ثانية، بحيث إذا كنتُ مُلكاً له فأنا أمام خيارين فإما أن أكون لِصاً وأحتفظ بما ليس لي، أو أن أُسلِّم كل شيء لِلّه؟ وعندما عرفت أن يسوع المسيح قد مات لأجلي، لم يبدُ شيئاً صعباً أن أتنازل عن كل شيء لأجله».

يُذَكِّرنا الرسول بولس أننا لسنا لأنفسنا لأننا اشتُرينا بثمن، وبإمكاننا أن ندرك هذا الحق عقلياً ونقبله لاهوتياً، ومع ذلك لا نزال نتمسك بحياة هي مُلك لآخر. إن السبيل الذي ينبغي أن نسلكه هو أن نُدرك حقوق الفادي ونسلِّمها له.

## أرني قائدك

في الأيام التي كانت عبادة الإمبراطور في الإمبراطورية الرومانية تقليداً شائعاً، كان على الرجال أن ينطقوا بالقَسَم التالي « قيصر رَباًّ» وكانت عقوبة الرَّفض الموت، فكان من الطبيعي أن لا يتمكَّن المسيحيون من تأدية أو قبول مثل هذا التجديف، بل كان إعترافهم الجريء «يسوع هو الرب.» فلاقوا حتفهم لأجل هذا الحق.

نحن لسنا تحت أي ضغط للإعتراف بربوبية أي حاكم أرضي، لكننا نلتزم بالإعتراف بأن يسوع المسيح هو رَبّ. لهذا السبب مات وقام للحياة مرة أخرى بحيث يمكنه أن يكون رباً. وكونه رباً، فله الحق على الجميع.

لعله من العبث أن ندعوه رباًّ إذا فشلنا في إطاعته، ومما يتعارض والترابط المنطقي أن أقول في لحظة «إنه ربّي» وبعدها أقول «ليس هكذا يا رب» في لحظة ثانية.

يرغب البعض في القبول بيسوع مخلصاً، لكنهم يأبون عليه حقوق العرش رباًّ، يصرّ الكتاب المقدس على ألا يشجع أحداً ممن يقبل المسيح ببعض التحفظات، إذ علينا أن نأتي إلى المسيح دون تحفظات أو تراجع.

قال جون سكوت في وصفه مراسيم تتويج ملكة بريطانيا في كنيسة وستمنستر، إن إحدى أكثر اللحظات تأثيراً كانت قبل إنجاز التتويج تماماً، أي قبل أن يوضع التاج على رأسها. فقد نادى رئيس كنيسة كانتربري، المواطن الأول في البلاد، أربع مرات بحسب إتجاهات البوصلة في الكنيسة شمالاً، جنوباً، شرقاً وغرباً، «أيها السادة أقدم لكم ملكة هذه المملكة، الملكة الحقيقية لهذه البلاد، ألا تؤدون لها واجبات الولاء والإحترام؟ وليس قبل أن تأتي صرخة إيجاب مدوّية كالرعد أربع مرات في أجواء كنيسة وستمنستر يُحضَر التاج ويوضع على رأسها».

ويستأنف سْكوت تعليقه «أقول لكم اليوم، أيها السيدات والسادة، أقدم لكم يسوع المسيح ملككم وربكم الحقيقي، ألا تقدِّمون له واجبات الطاعة والولاء؟

إنه تساؤل ينبغي على كل من يعترف بأنه مؤمن أن يجيب عليه، ألا يصغي الرب إلى صرخة إيجابية؟

## محصور بمحبة المسيح

دعني أقدِّم موضوعاً آخر يدفع كلَّ إبن للّه لكي يصنع له تاريخاً. إني أتحدث عن محبة المسيح لك ولي.

فكر بالأمر على هذا النحو! مات شخص لأجلك، وهذا «الشخص» لم يكن إنساناً خاطئاً مثلنا، كان إبن اللّه القدوس، ذاك الذي كان يحيا مع اللّه في السماء في بركة سماوية لا يعكِّر صفوها شيء منذ الأزل، وقد أحبك إلى الحد الذي جعله مستعداً لبَذْل حياته فدية عنك، فهل لي أن أسأل لماذا أحبك؟ حسناً، لم يكن بسبب أية مزية فيك، فلا يوجد فيك ما يستحق هذه المحبة، والواقع أنك كنت عَدُوّاً. وبقدر ما يعنيك الأمر، لم تكن جديراً بحبه البتة، أما السبب في أنه أحبك، فيعود إلى أن هذا هو نوع شخصه، إنه بحكم طبيعته أن يُحِب، وللمحبة ينبغي أن يكون هدف. إنه لم يحبك لأنك كنت حياً وصالحاً، بل كنت ميتاً بالذنوب والخطايا. لقد أحبك لأنه لو لم يَشفَع لك لكنت هلكت إلى الأبد. لا يستطيع أحد أن يقيس أبعاداً مثل هذه المحبة كإتساعها وطولها وعمقها وإرتفاعها.

صوَّرَ أحد كتاب الترانيم محبة اللّه بالكلمات التالية:

لَوْ صَـارَ حِـبْراً كُـلَّ يَـمّ وَوَرقـــاً كُـلُّ الفَلَـكْ
وكُـلُّ نَـبْـتَــةَ قَـلَـــمْ والكُلُّ بالوَصْفِ اشتَرَكْ
مـا كَـتَبـوا مـاً وَصَـفـوا مَحَبَّـــةَ الحَبــيــبْ
فاقَتْ سَمَتْ فاضَتْ طَمَتْ مِقْدارُهـــا عَـجـيــبْ

والآن، أتعتقد أنه مات بحيث تتمكن من المُضي في نفس حياة الأنانية والخطيئة التي عشتها سابقاً؟ كلا، لقد مات لأجلك لكي تحيا من الآن فصاعداً لأجله هو، سيكون ذلك حقيقة حياة يُحتذى بها. ألا تكون هذه حالتك؟

## لسنا مَلّاكين بل وكلاء

لم ننتَه بعد، ذلك لأن الموضوع الأساسي الآخر الذي ينبغي أن نصارعه هو عقيدة الوَكالَة، فإذا عرضناها ببساطة نقول أنها تعني أننا قائمون هنا لكي نمثِّل مصالح اللّه، فنحن وُكلاؤه.

إن كل ما نملك يعود إليه، وقتنا، مواهبنا، كنوزنا. ومن السهل أن نتوهَّم أن أموالنا ومهاراتنا هي ملك لنا، وأن المنزل والسيارة والأُسْرة هي ملك لنا، لذا فنحن أسياد ونستطيع أن نتحكَّم في سير عملنا. معظم المسيحيين يفكّرون على هذا النحو، لكن هذا كله خِداع! نحن مُلك للرَّب بما نحن عليه وبكل ما نملك.

السؤال هو: «كيف نَستخدم على أحسن ما يكون الإستخدام ما أوكلنا اللّه به لنكرِّم إسمه ونُقدِّم شَأنه؟»

سنقف يوماً ما أمام السيد لنقدِّم حساباً عن وكالتنا، وستُظهِر السجلات إن كانت أفضل مواهبنا قد سُخِّرَت في سبيل أغراض خسيسة حقيرة في عالم مشين غير مستحق، وستَكشِف إن كانت أموالنا قد استُخدمت في الملذات الشخصية وستُسجِّل الكتب إن كان وَقتنا قد بُدِّدَ على نشاطات وفعاليات تافهة ولا صلة لها بالملكوت.

نخدع أنفسنا إن كنا نظنَّ أننا بعملية تحوُّل سحري سوف نَظْهَر جميعنا بمجد إلهي فإن الفحص الدقيق لحياتنا وخدمتنا سوف يكشف الأشياء بالضبط كما كانت.

## ماذا حقاً على قلب اللّه؟

عندما أفكر ماذا أفعل بحياتي، عليّ أن آخذ بعين الإعتبار بكل تأكيد حقيقة أن الرجال والنساء الذين يحيطون بي يموتون بدون المسيح، وأنا ملزم بأن أهتم بالأمر.

يجب أن أهتم بأقربائي وأصدقائي وجيراني وزملائي في العمل، بل في الواقع بكل الجنس البشري، وقد عَلَّمني يسوع أن أحب قريبي كما أحب نفسي، وقريبي هو أي إنسان واقع في ضيق، فإن كُنتُ أحِب قريبي حقاً، فإني أريد أن أراه يتمتع بالبركات الروحية التي لي في المسيح. سوف أُضحّي لكي يتيسَّر له الحصول على الكتاب المقدس، لكي ينال الخلاص ولكي يتمتع بالحياة الفياضة.

تنطوي على البشر أهمية حقيقية، فالأشياء غير مهمة لكن البشر مهمّون. لذلك يتعيَّن علي أن أكُنَّ محبة أكبر للناس مما للأشياء، فإن كان يُحسب لحياتي أية قيمة، فيجب علي أن أكون مهتماً بالبشر، وأن أستثمر في حياة الناس.

## جالس فوق كنز من ذهب

سيكون أمراً مروعاً لو كان لدي علاج لمرض السرطان ولا أشارك به مرضى السرطان في أنحاء العالم، بل حتى أشد سوءاً أن أملك علاجاً للخطيئة ولا أشارك الضالين به.

إعتاد مسافر عند سكة حديد لونج آيلاند أن يسير في داخل عربات القطار ويقول لمن يودّ أن يسمع: «إن عرفتَ أحداً أعمى، أخبره عن **الدكتور بلوم**. فقد كنت أعمى وأعاد لي بصري».

عندما تجندت في سلاح البحرية، كنت أهاب التكلم مع الآخرين عن الرب على نحو لا مبرر له (وتلك علّة لازمتني نتائجها طوال حياتي). وذات ليلة وفي المحطة الجوية للميناء دخلت إلى قاعة الضباط لأتناول الطعام. لم يكُن في القاعة في تلك الساعة سوى ربان طائرة واحد، سأدعوه (مايك ناب). كان مايك يأكل شريحة لحم ويقرأ الصحيفة، طلبت لنفسي شريحة لحم وشرعت أقرأ أنا أيضاً في صحيفتي ومن ثم إنتابني شعور شديد من الرب لأتكلَّم مع مايك عن حياته. ترددت مُعَلِّلاً بأنه كان يقرأ صحيفة ولن يحسُن الأمر في عينيه أن يزعجه أحد.

وبعد أن جاءتني شريحة اللحم إنتابني نفس الشعور مجدداً بوجوب التكلُّم إلى مايك، لكنني كنت آكُل وأقرأ وقاومت الدافع الذي يحثني.

في تلك الليلة أقلع مايك ومساعده في طائرة نقل نحو الساحل الغربي. وحَطَّا في فلاجستاف في منطقة أريزونا، ثم أقلعا مرة أخرى وبعد وقت قصير اختفت الطائرة. أُرسلت طواقم تفتيش ولكن لم يُعثر على أثر لطائرة DC٣. مرت الأسابيع والأشهر، لكن سِر إختفاء الطائرة ظلَّ عَصياً على الحلّ.

في ربيع سنة ١٩٤٣ شاهد بعض الكشافة من الصبية الذين تسلقوا جبال سان فرانسيسكو، خارج فلاجستاف، سطح الذيل الأفقي لجسم طائرة يبرز من بين الثلوج، وعندما وصل رجال السلطات المختصة إلى موقع الحدث، عثروا على جثتي مايك ومساعده بين الحطام.

يمكنك أن تتخيَّل حجم الصدمة الشديدة التي تسببت لي من جراء ذلك الخبر، فلقد أخفقت في أن أشارك الأخبار السارة مع رجل في ليلته الأخيرة من حياته على الأرض.

بعد مدة وجيزة على هذا الحادث، كنت ماراً إلى جانب حظيرة الطائرات عندما لاحظت أن بعض الملاحين قد انتشروا على ظهر الطائرة، وكان ضابطان يسجلان قائمة بالأمتعة الشخصية لمايك ومساعده قبل إعادتها إلى أقرب أقربائهما.

هرعت إلى غرفتي وسقطت على ركبتي وبكيت أمام الرب. لقد تعلمت من العار والندم الناجمين عن معرفتي الروحية التي أخفقت بالمشاركة فيها. الآن يترتب علي أن أعيش الإحتمال المروِّع في أن يشير إلي مايك بإصبع الإتهام ويقول: «لم تخبرني».

هنالك بعض الأمور يستطيع أن يفعلها الناس غير المؤمنين مثلما نفعلها نحن، ولكننا الوحيدون الذين نستطيع أن نُخبر الآخرين عن طريق الخلاص، وفي هذا المعنى، نحن أشخاص لا يُستغنى عنهم. سوف نسمح للعالم أن يفعل ما يستطيع أن يفعل، بينما يتركنا نقوم بالشيء الأهم. أليس هذا ما عناه يسوع عندما قال: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»؟ (لوقا٩:٦٠).

قال بولس الرسول أنه مدينٌ لليونانيين وللبرابرة، للحكماء والجهلة وكان مستعداً ليكرز بالإنجيل في كل مناسبة.

إننا جميعاً مدينون لكافة الجنس البشري. يجب علينا جميعاً أن نكون

مستعدين، كالرجال البُرصْ الثلاثة الجائعين الذين وجدوا أنفسهم فجأة وسط وفرة من الخبز تفوق حد التصديق، فقالوا: «لَسْنَا عَامِلِينَ حَسَناً. هَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ بِشَارَةٍ وَنَحْنُ سَاكِتُونَ! فَإِنِ انْتَظَرْنَا إِلَى ضُوءِ الصَّبَاحِ يُصَادِفُنَا شَرٌّ. فَهَلُمَّ الآنَ نَدْخُلْ وَنُخْبِرْ بَيْتَ الْمَلِكِ» (ملوك الثاني٧:٩)، لذا مضوا وخبّروا أهلهم أين يحصلون على الخبز. اليوم ليس زمن الإلتزام بالصمت!

## أصرخها من على أسطح المنازل

قال يسوع: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى٢٨:١٨-١٩).

إنها وصية مباشرة من الرب المُقام لتلاميذه، وبطريقة ما أو بأخرى يتعين على كل مؤمن أن ينشغل بالكرازة للعالم.

إن السؤال الوحيد الذي علينا أن نواجهه هو: «هل نحن مستعدون على أن نكون مطيعين؟» وعندما يقول يسوع: «إذهبوا» هل نقول «لا» أو عندما يقول: «من أرسِل، ومن يذهب لأجلنا؟» ألا نقول: «هأنذا، أرسلني»؟

وأقول، عندما تخطط لحياتك عليك أن تسأل نفسك هذا السؤال: «ماذا أنوي أن أفعل بالوصية العظمى؟»

## إستعراض سريع لحياتك

ثمة قضية أخيرة علينا أن نواجهها، وهي كرسي قضاء المسيح، في هذا المكان المَهيب ستُقيَّم خدمة المؤمن وسيكون وقت للمراجعة والمكافأة. أما دينونة خطايا المؤمن فسوف لا تُحاكم هنا لأن هذه الدينونة قد تمت مرة وإلى الأبد على صليب الجلجثة وقد تم تسديد عقاب خطايانا، ولن يطالب اللّه بالتسديد مرتين ولن تكون مخاطرة مزدوجة. لكن أعمالنا سَتُدان فإما أن ننال مكافأة أو أن نتحمل خسارة.

إن كرسي قضاء المسيح ليس مثل محكمة جنائية حيث يُصدر القاضي أحكاماً على مخالفي القانون، بل هي بالحريّ مثل معرض للزهور حيث يقوم القاضي

بتقديم الجائزة الأولى والثانية مُنوهاً بدرجات الشرف. وفي حين لا تثير كرسي قضاء المسيح في النفس الخوف من العقاب لكنها تثير فينا الرغبة لكي نَسُرَّ الرب في كل شيء ونُعدَّ حياتنا لكي نحسب حساب الأبدية.

«ينبغي أن نعيش حياتنا على ضوء الأبدية، فبعد مائة عام من هذا اليوم أين ستكون أنت وأنا؟ من المؤكد أنه يجب علينا أن نتعلم كيف نحيا لا من أجل غموض وضباب هذه اللحظات، بل من أجل النور الكلي الشفافية الذي يشع في كل دوافعنا وكياننا بوضوح يفوق أي إشعاع لأشعة X-ray التي تخترق أجسادنا» (عن مجلة *Revelation* Magazine).

## إستراحة قصيرة للمراجعة

لنتوقف الآن هنيهة ونستعرض النقاط التي عالجناها لغاية الآن. لقد أدرجنا حقائق وقضايا عظيمة علينا جميعاً أن نُفكِّر فيها كي نجعل حياتنا ذات أهميَّة!

- الوقت مُقصِّر ينقضي بسرعة، ينبغي أن نَحسُبَ حساب كلّ دقيقة.
- نحن لسنا مُلكاً لأنفسنا إفتدانا يسوع على الصليب. والآن نحن مُلكٌ له.
- يسوع ربّ. ولأنه كذلك فله الحق في السيطرة المطلقة في حياتنا، ولِزاماً علينا أن نُسلِّم له زمَامَ القيادة.
- نحن وكلاء كل ما نملك يعود إليه، نحن مسؤولون لإدارة شؤونه بطريقة تُشرِّفه وتعمل على تعزيز مصالحه.
- من حولنا رجال ونساء يَهلَكون علينا أن نُبدي بهم إهتماماً وألا ننشغل بالعالم وبأشيائه الكثيرة عندما تكون أرواح الناس في خطر.
- عندنا الجواب لِإحتياج العالم. إنه لشيء رهيب أن يكون لدينا الجواب ولا نشارك به أحداً. نحن مدينون لكلّ الناس.
- لا تزال الوصية العظمى أمر المسيح الواضح لنا. فكل إنسان مخلوق من اللّه هو إما مُبَشِّر أو حقلَ تبشير. قال يسوع، «إذهبوا».
- في يوم ما، عما قريب سوف نقف أمام كرسي قضاء المسيح والأمور التي سوف تُهِمّ حينئذٍ هي الأمور التي ينبغي أن ننشغل بها الآن.

هذه هي الحقائق، أما السؤال فهو: «ماذا نحن مُزمِعون أن نفعل حيالها؟» هناك ثلاث إمكانيات على أقل تقدير:

الأولى: نستطيع أن نخطط حياتنا بحكمتنا ومواردنا فاعلين ما يحلو لنا وما نريد أن نعمله. الثانية: نستطيع أن نتقبَّل الحياة كما تجري مُساقين مع التيار. أو ثالثاً وأخيراً: نستطيع أن نُسَلِّم حياتنا ليسوع المسيح تسليماً تاماً تاركين له ما يختار لنا. فلنَتفَحَّص هذه الإمكانيات الثلاثة ونقرر أياً منها نختار.

## الخطة الأولى: إفعل ما يحلو لك.

لعل الإستجابة الأكثر شيوعاً لمسائل الإيمان المسيحي هي أن يخطط المرء لحياته، فالمؤمن يتمتع بثقة غير محدودة بحكمته وبمقدرته وله مطامح هائلة ولا يسمح لأي شيء أن يقف في سبيلها، ولذلك فهو يمضي في تحقيقها بمثابرة وعزم.

## إحراز الثروة

قد يقرر أن يُخبِّئ ثروة مما يجعله ينتظر بصبر تحقيق مآربه. فإذا إستطاع أن يجمع ما يكفي فسوف يكون سعيداً.

إنه ينسى المثل الروماني الذي يقول: إن المال مثل مياه البحر، كلّما شربت منه أكثر يزداد عطشك أكثر فأكثر.

إنه ينسى أن الشهوة تشبه الإمساك بسلك كهربائي، حيث يصعب الإفلات منه.

إنه ينسى أن العهد الجديد لا يقول شيئاً حسناً عن تكديس الأموال، بل إنه يقول صعب على الغني أن يدخل ملكوت السموات، ويقول أن محبة المال هي أصل لكل الشرور، ويقول أن الشهوة هي عبادة أوثان بل يمنع بتاتاً أن يَكنِز له كنوزاً على الأرض.

نقرأ في الأساطير اليونانية كيف ذُهلت فتاة جميلة بلمعان الذهب، فقد نذَرت *أتلانتا* أن تتزوج فقط من الرجل الذي يتمكن من الفوز عليها في سباق العَدْو وأي رجل يفشل في ذلك يُقتل. قبل بداية السباق، تَسلَّمَ هيبومينيس ثلاث تفاحات ذهبية من أفروديت. وخلال السباق أسقط هيبومينيس هذه التفاحات الثلاث على مراحل، وإذ توقفت أتلانتا لكي تلتقطها تأخرت في جريها وخسرت السباق.

يتهدد الخطر أولاد اللّه دوماً بإنشغال الواحد منهم بالتفاحات الثلاث. وهو مستعد أن ينسى أن الغنى الروحي هو الغنى الحقيقي. وقد ظهرت هذه الحالة

بقصة «أغنى رجل في الوادي» كما رواها هارولد وايلدش.

سكن رجل ثري في بيت رحيب الأرجاء فوق قمة تلة، وكان يستطيع أن يلقي نظرة من إحدى نوافذ بيته على واد أخضر مُقسّم إلى عدة مزارع، وكان يردد القول: «هذه جميعها لي» وكان يملك كل شيء يمكن أن يشتريه بالنقود، ولكنه كان وحيداً، لم يركع على ركبتيه في الصلاة أبداً، ولم يقرأ الكتاب المقدس أبداً ولم يدخل إلى الكنيسة المحلية أبداً.

كان المشرف على مزرعته رجلاً فقير الحال سَكنَ مع زوجته وأولاده في كوخ صغير وكان بيته مكان فرح وسلام وقد عرف الجميع أن جون كان رجل اللّه، وكان صوته يُسمَع دائماً في الصلاة في الكنيسة.

وذات صباح وفي موعد الفطور رنَّ جرس باب منزل الرجل الثري، وإذ إستبد به العجب عمَّن يكون القارع في مثل هذه الساعة المبكرة فتح الباب ورأى جون واقفاً، تغْلبُ عليه مظاهر الوداعة والخنوع، فسأله الرجل الثري: «هل حدث سوء للخيول، يا جون؟»، «لا يا سيدي، لكن هل لي أن أكلمك للحظة؟»

«طبعاً، تفضَّل» وقف الرجلان على السجادة الفاخرة. يا لها من دراسة في التباينات. قال جون مستهلاً كلامه: «شعرت أنه يجب علي أن آتي إليك لأني حلمت حُلماً في الليلة الماضية يكاد ينطق بالواقع وشعرت بأنه يجب عليك أن تعرف عنه».

«بالتأكيد، حسناً خبِّرني عنه».

«حسناً يا سيدي، لقد بدا كأنما اللّه يُبلغُني بأن أغنى رجل في الوادي سيقضي نحبه في منتصف هذه الليلة، آمل ألا تكون قد تضايقت، بيد أنني شعرت بأنه يجب عليك أن تعرف».

«آه يا جون، أنا بخير، لا تقلق، أنا لا أؤمن بالأحلام مهما كان الأمر».

إستدار جون عائداً ليعتني بشؤون عمله في ذلك النهار قائلاً بما يكاد يكون إعتذاراً: «فكّرت أنه يجب علي أن أبلغك».

إستدار الرجل الثري ثم وقف عند النافذة وأخذ ينظر إلى الوادي، «يا له من عجوز أخرق تافه العقل!».

وفي نحو الساعة العاشرة صباحاً ركب الرجل الثري سيارته وانطلق مهرولاً إلى المدينة نحو عيادة الطبيب، وبعد أن أجرى له الطبيب فحصاً شاملاً قال له: «أنت في صحة جيدة، وأنا أعطيك عشرين سنة أخرى».

«هكذا فكَّرت، والآن، هل لك يا دكتور أن تتفضَّل وتأتي إليّ هذه الليلة لتتناول معي طعام العشاء وبعدها نجلس أمام المدفأة ونستمتع بجلسة نروِّح بها عن نَفْسَينا... حسناً تعال نحو الساعة السابعة مساءً».

حاول الرجل الثري أن يُبقي نفسه مشغولاً طوال النهار بالعمل واللهو، لكنه لم يستطع أن ينسى الكلمات، «إن أغنى رجل في الوادي سيقضي نحبه في منتصف هذه الليلة» على أنه شعر بإرتياح عندما قَدِمَ الطبيب، فتناولا وليمة فاخرة، وأكثرا من الشرب ثم جلسا أمام المدفأة وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث. حاول الطبيب أن يغادر المنزل في الحادية عشرة، لكن الرجل الثري رجاه أن يمكث حتى منتصف الليل.

بعد ذهاب الدكتور أوصد الرجل الباب ووقف على السجادة حيث كان جون قد نطق بتلك الكلمات المنذرة بالشرّ، «إن أغنى رجل في الوادي سيقضي نحبه في منتصف هذه الليلة».

«يا له من عجوز أخرق، تافه العقل، أشعر أني بصحة جيدة» وراح يأوي إلى فراشه. في الساعة الثانية عشر والنصف رنَّ جرس باب البيت الأمامي فوضع عليه عباءته بسرعة وذهب ليفتح الباب معتقداً أن الطبيب قد نسي عنده شيئاً ما، إلا أنه رأى في نور المصباح فتاة تبكي يلفّ رأسها منديل. «ماذا حصل؟ ومن أنتِ؟»

خرجت الكلمات من فمها بصوت متقطِّع وبِغصَّة: «أرسلتني أمي لأبلغك أن أبي قد توفي عند منتصف الليل – وشعرَتْ بأنه يجب عليك أن تَعلمَ ذلك».

«ماذا، جون؟ آه، أنا آسف جداً، أبلغيها بأني سآتي إليكم باكراً في الصباح».

غادرت البنت الباكية في الظلام. أما هو فقد أغلق الباب ببطء ووقف فوق السجادة وعَلت الصيحة في قلبه، «آه يا إلهي، كم كنتُ غبياً. لقد كان جون التقي، الغني بالإيمان والمحبة والسلام، الذي لبَّى النداء. لقد كان هو أغنى رجل في الوادي».

من الغريب أن الناس الذين يعيشون لأجل المال لا يرغبون أن توضع على

قبورهم إشارة الدولار، إنهم يختارون صليباً أو نجمة داود بحيث يُذكَرون بتقواهم وليس بجشعهم للمال.

وكما أن قطعة العملة المرفوعة أمام العين قد تحجب الشمس، هكذا المال الموضوع أمام النفس يحجب وجه اللّه.

إن العيش من أجل المال يشبه شارعاً بلا منفذ، في مواكب الجنازات لا توجد سيارات مصفحة ولا يمكنك أن تأخذ أموالك معك.

إن من يحيا للمال يَعبُد إلهاً كاذباً ويضع قلبَه على العالم الخطأ.

## كم يكفيك؟

ثمة طريقة أخرى للتخطيط من أجل حياتك، هي تجميع ممتلكات مادية من كل نوع وصنف، ليس نقوداً بالضرورة، لكن ثروة بأشكال مختلفة. فالبعض يشتهي منزلاً فاخراً مع حمام سباحة وزورق سريع وبيت رحلات متنقِّل، أعمالاً فنية، آنية خزفية صينية وأواني فضية خالصة، أدوات كهربائية، مجوهرات، ماشية، أثاث غالي الثمن، ومخزن مليء بالمعدات الرياضية وقافلة من السيارات تقف في ممر خاص بها.

يُحدِّث الكاتب الروسي تولستوي عن رجل كان ذا شهوة مفرطة للحصول على المزيد من الأرض، فقد ورد إلى سمع هذا الرجل أنه يمكنه الحصول على الأرض في وسط الباشكيريين ومقابل ١٠٠٠ روبل وذلك بأن يشتري كل الأرض التي يسير عليها ما بين الفجر وحتى غروب الشمس، وبدأ مسيرته بأن إتخذ مساراً عريضاً كالقوس، وكان كلما رأى تربة صالحة استدار حولها، ولكن في ساعات بعد الظهر المتأخرة أدرك أنه قام بعدة استدارات لذلك بدأ يعدو ويعدو ويعدو عائداً نحو نقطة البداية، ثم مضى يسير مترنحاً عبر المسار بعد أن بلغ به اللُّهاث وأُنهكت قواه، وقد بدأت الشمس تجنح إلى المغيب فانهار ومات. قام المشاهدون بدفنه في قبر قليل الطول، هو كل الأرض التي احتاج إليها.

حدّث ستانلي جونز عن رجل آخر وجَد نفسه في وضع تُلبَّى فيه كل رغبة من رغباته فوراً. «فقد أراد بيتاً فكان له مع خدم عند الباب، ورغبة في سيارة كاديلاك فخمة فكانت له مع سائق، فأخذه الفرح في البداية، ولكن سرعان ما أخذ الوضع يَثْقُل على نفسه فراح يقول «أريد أن أتخلّص من هذه الحال، أريد

أن أخلُق شيئاً، أن أعاني من شيء، حَبّذا لو أكون في جَهَنم بدلاً من هنا. فأجابه الخادم: أين تعتقد أنك موجود؟»

إن حقيقة الأمر هي أن الكثير من الناس يعيشون اليوم في جحيم المادة متمزقين من عدم الإستقرار والسأم والإستياء والتعاسة.

تخيل توماس هاردي (روائي إنجليزي) نفسه يتمشى عبر مقبرة ويصغي لأحاديث من هم بالأسفل. وكان رجل قد غالى بمواشيه أكثر من اللّه، وكانت إمرأة تمعن النظر بشماتة في أوانيها الخزفية الصينية الزرقاء، فإذا هي بَخِسَة القيمة الآن.

أطلَّت إمرأة ثرية من مدينة منيسوتا من نافذة منزلها الفخم فرأت حريقاً يشبُّ في السهول القريبة من منزلها، تفحصت واطمأنَّت بأن الرياح كانت تهب بعيداً عن منزلها، ولكن سرعان ما تغيَّر إتجاه الريح واندلعت النيران مندفعة عبر السهول بإتجاهها، فقررت أن تُنقذ أثمن ممتلكاتها، فركضت نحو إحدى الغرف وملأت يديها، ثم هرعت إلى غرفة أخرى، تاركة بعضَ الأشياء ومتناولة غيرها، واستمرت في عملية التبديل المحمومة هذه حتى حان وقت الفرار. وتقول القصة إنها عندما غادرت منزلها، حملت في يدٍ دلواً من اللبن، وفي اليد الأخرى عَظْمة خنزير قد أنتُهيَ من أكلها.

عندما إصطُحب صامويل جونسون للقيام في جولة في حديقة تابعة لبيت فخم كان تعليقه الساخر: «هذه هي الأشياء التي تجعل من الصعب على الإنسان أن يموت!»

يجب أن يكون واضحاً أنه إن عشنا الحياة من أجل تجميع ممتلكات مادية فهذه ليست الطريقة الصحيحة. فلنستمع إلى شهادات بعض الاشخاص الذين وجدوا الطريقة الصحيحة.

قال وليم بارنز: «يبدو أن أسعد حالة للمؤمن المسيحي على الأرض هي في إحتياجاته القليلة، فإن كان المسيح في قلب إنسان والسماء أمام ناظريه، وما يحتاجه فقط من البركات الزمنية لكي تحمله على أن يكمل مسيرة الحياة بأمان، حينئذ لا يبقى للألم أو الحزن إلا القليل كي يصوَّبا نحوه. إنسان كهذا ليس لديه الكثير كي يخسر».

كانت سياسة ديفيد ليفنجستون كالتالي: «لن أُقيِّم أي شيء أملكه أو قد أمتلكه إلا إذا كان يتعلّق بملكوت المسيح، وإذا كان أي شيء سيتجاوز مصالح هذه

الملكوت فإما أن يُعطى أو يُحافظ عليه فقط إذا كنت بالعطاء أو بالمحافظة سوف أعزز من مجد ذلك الذي أدين له بكل آمالي في الزمن الحاضر وفي الأبدية، عسى أن تكون النعمة والقدرة كافيتين لتمكنانني من الإلتزام بإخلاص بهذا القرار الذي أُعطي لي بحيث أن جميع مصالحي تتلاءَم مع مصلحته وليس بالقول فقط.»

كتب وُتشماني: «لا أريد شيئاً لنفسي، بل أريد كل شيء للرّب.»

قال هدسون تيلور إني «أتمَتَّعَ برفاهية أن لدي أشياء قليلة لأعتني بها».

وقال أ. و. توزر: «أنا لا أملك شيئاً».

أخيراً، يضيف مالكولم ماجريدج إلى هذا شهادته، «عندما أنظر إلى الوراء أتحقق من أن الأوقات الوحيدة التي كنت فيها سعيداً، كانت تلك التي قضيتها ببساطة وتقشُّف: حجرة بيضاء مع كرسي ومائدة، فاكهة وبعض الأرزّ على ورقة نبات خضراء في كوخ أو خيمة – مثل هذه الظروف تحمل إبتهاجها الفاخر.»

## تحرك بإتجاه أسمى

عندما يخطط المرء لحياته نجد ما يبعث على الأسى بأن يُعطي المهنةَ والوظيفة المنزلة الأولى في حياته، كما أنه من الممكن أن تُبوَّأ مصلحة ما على العرش بدلاً من المسيح، ومن الممكن أن يكون لدينا الإستعداد لكي نعمَل من أجل الدولار ما لا يكون المرء مستعداً أن يعمله لأجل المخلص.

إن للشركات طريقتها في استدراج الموظفين ذوي التأهيل العالي، إذ تُنعم عليهم ألقاباً مثيرة للإعجاب وتدفع لهم بسخاء، ولكنها تتطلب المزيد المزيد من وقت الشخص وحياته، وعندما ينتزعون منه آخِر ذرة من التفاني، يصافحونه المصافحة الرائعة ثم يحيلونه إلى كومة الخردوات.

لقد خُلق المؤمن المسيحي لعملٍ أعظم من أن يكون بما وُصفَ بِ «موظف صغير في مشروع قصير الأجل» ولا يكفي أن «تولد رجلاً وتموت بقّالاً».

قال بيلي غراهام في مؤتمر للمبشرين عُقدَ قبل سنوات: «عندما عَرَضَ الرئيس كلفين كوليدج منصب سفير الولايات المتحدة إلى اليابان على رجل الدولة والمبشر الكبير جون موط، قال: «سيدي الرئيس، عندما دعاني اللّه مذ كنت طالباً لأكون

سفيراً له، صُمَّت أُذني إزاء كل الدعوات الأخرى». وعندما كانت شركة النفط ستاندرد أويل تبحث في الشرق الأقصى عن شخص، إختارت مبشراً ليكون ممثلاً عنها، فعرضت عليه مبلغ عشرة آلاف دولار، فرفض، ثم خمسة عشر ألفاً فرفض، ثم خمسين ألفاً فرفض أيضاً، فسألته الشركة: «ما الخطأ في الأمر؟» فأجاب: «راتبكم مناسب جداً، أما الوظيفة فضئيلة جداً. لقد دعاني اللّه لأكون مبشراً».

في قصة توقع الرهبة في النفس رواها سيدلو باكستر عن رجل سمح لعمله بالنسيج أن يُطوّح جانباً بالمسائل التي تتعلق باللّه، فقد أحرز النجاح الذي يتمناه، ولكنه وبينما كان يرقد على فراش الموت دَمدَمَ بإهتياج شديد «هناك... يسوع... يقول كلاماً... ولكني لا أستطيع أن أسمعه بسبب ضجيج المصنع».

هنا ينبغي أن نَقفَ، فإن ما قلناه قد يخلق الإنطباع في بعض العقول بأنه من الخطأ للمسيحي أن تكون لديه مصلحة أو مهنة أو وظيفة دنيوية، طبعاً هذا أمر منافٍ للعقل، إن المعيار الطبيعي للمؤمن أن يعمل لكي يؤمِّن حاجاته الشخصية وإحتياجات أسرته، أما الخطأ فيكون عندما تصبح الوظيفة الشيء الرئيسي في الحياة ويغدو الملكوت شيئاً ثانوياً.

أن المدى الذي يمكن أن تبلغه المهنة الإحترافية لتصبح مركزية في تفكير الشخص يمكن ملاحظتها في ما حصل مع عالم مشهور إختصاصي في علم الوراثة، وكالمعتاد في هذا المجال، فقد أجرى بحثاً بما يتعلق بحشرات الفاكهة، فعندما قام هذا العالم مؤخراً بإصدار بيان علني أعلن فيه إعترافه وإيمانه باللّه إغتمَّت إحدى زميلاته من ذلك وقالت: «تخيَّل كيف يستبدل حشرات الفاكهة باللّه!».

هناك فرق بين دعوتنا القلبية وبين عملنا، فدعوتنا أو نداء اللّه لنا هو أن نمثِّل مصالح المسيح على الأرض ونسعى لتقدم أهدافه، وأن يكون ما يشغلنا هو تسديد التكاليف. لقد دُعي بولس ليكون رسولاً، وكان أيضاً صانع خيام، لكن هذه لم تكن دعوته، لقد عمل في صُنع الخيام ليؤمِّن لقمة العيش لنفسه ولزملائه.

في الواقع أن يكون لعملنا هدفاً أكبر من مجرَّد تسديد التكاليف، فقد يكون أيضاً جزءاً حيوياً من شهادتنا، فمكتبنا أو طاولة العمل يمكن أن تصبح منبراً من خلاله نُظهِر بحياتنا وبأقوالنا على أن للمسيح أهمية قصوى فينا، وبالإجتهاد

والأمانة وبتشبهنا بشخص المسيح نعيش الإنجيل أمام الآخرين. وقد يكون العمل أيضاً وسيلة لدعم عمل الربّ المنتشر في العالم من خلال عطايانا السخيّة.

يكمن الخطأ عندما يصبح العمل عُمدة حياتنا. ينبغي على المسيحي المؤمن أن يتعلَّم أن يقول لربّ عمله «إلى هنا يكفي ما يأخذه العمل مني، لا للمزيد».

## الظهور بعناوين بارزة

ينبذ بعض الناس المال والممتلكات المادية، ومع ذلك يسعون وراء الشهرة والكرامة الدنيوية معتبرين ذلك الغاية العظمى في حياتهم. هؤلاء الناس يطاردون الظلال. ألا ينبغي أن يتوقفوا قليلاً ويفكروا بالسرعة التي يطوينا بها النسيان بعد موتنا؟ أغلبُنا لا يستطيع أن يتذكَّر أسماء جدودنا ولا حتى التعرُّف عليهم، وقلة منا تستطيع أن تتذكر أسماء آخر عشرة رؤساء لدولتنا.

ثم ماذا نقول عن الكرامة التي نحظى بها من العالم؟ يبذل بعض الناس جلَّ جهودهم لكي يَحظوا بشريط أو مدالية رخيصة أو شهادة تقدير، ثم بعد سنوات قليلة تَفْقد هذه المقتنيات بريقها ومن ثم تجد سبيلها إلى مخزن البيت إلى أن تُلقى في آخر الأمر في سلة النفايات.

أمسك نابليون بونابارت بقطع من الأشرطة وقال: «بهذه أستطيع أن أبني مملكة».

يسأل مايكل جريفيث: «ماذا لدينا لنقيّم حياتنا؟ هل نقيسها بالمكافئات والنجاحات الصغيرة، أو بعض الشهادات التعليمية؟ أو بعض الكؤوس الفضية والميداليات دلالة على بطولات رياضية، أو بعض القصاصات من الصحف، أو التقدُّم في العمل، أو بمركز في المجتمع، أو بساعة تُقَدَّم هديةً عند الخروج إلى التقاعد، ثم بإعلان نعي وإقامة جنازة تعجُّ بالمشيعين؟ أهذا كل ما يجب أن تعنيه حياتنا؟

لا عجب إذن إذ كان **روديارد كبلنج** قد أسدى نصيحة لصف تَخرَّج من جامعة ماكجيل ألا يهتموا كثيراً بالمال وبالقوة وبالشهرة، فقد قال لهم: «ستلتقون في يوم ما برجل لا يهتم بكل هذه الأمور وحينئذ ستعرفون كم أنتم فقراء».

سعى **فريدي برنز** وراء شُهرة ومجد هذا العالم. فعندما كان عمره ٢٢ سنة بدا وكأن الأمور كانت تسير وفق هواه. فقد حقق أحد أرفع الأدوار مرتبة في مجال العروض عندما قام بدورٍ في الإحتفال بدخول الرئيس المنتخب عام ١٩٧٧. لكن

هذا الممثل الكوميدي قد عرف أن خطأً خطيراً كان في حياته، فقد قال صديق مُقرَّب منه: «لم يرَ فريدي حوله شيئاً يمكن أن يرضيه، وهو مستعد أن يتساءل: «أهذا هو كل ما يُعبِّر عن كل شيء»؟ وفي لحظة غلب عليه الغمّ واكتنفه القنوط والإحباط، صوَّب مسدساً صغيراً نحو رأسه وأطلق النار. بعد ذلك عثرت الشرطة على رسالة تقول أنه لم يكن يستطيع أن يستمر على هذه الحال مدة أطول وهو الحادث الذي أطلق أحدهم عليه: «نهاية سريعة لمهنة سريعة».

حقق **هوارد هيوز** شهرة وشعبية في حياته، فقد كان أحد أغنى أغنياء العالم وأشدهم قوة، وكان في شبابه بطلاً أمريكياً نموذجياً وطياراً جريئاً وكان عالماً لا يملُّ إمتلك شركة قوية للدفاع (طائرات هيوز)، وشركة طيران ضخمة هي (TWA)، وشركات صغيرة عديدة أخرى، وقد قُدِّرت ثروته ب ٢،٣ بليون دولار أمريكي.

ولكن في غضون آخر سنيّ حياته، عاش «حياة مظلمة بلا فرح يكاد يعصف بها الجنون... سجيناً محاطاً بمخاوفه وضعفاته التي أوهنَت عزيمته. كان في سالف الأيام شخصية مليئة بالحيوية وجذاباً، ولكنه أهمل مظهره وصحته حتى أصبح يُثير الشفقة وهزيلاً كالشبح» (عن مجلة التايم)، ولقد وصفه كاتب سيرة حياته بقوله: «إنسان مُعذَّب، مضطرب البال تمرَّغ في إهمال ذاته، تعتريه نوبات بما يشبه الجنون، وعاش فاقداً للراحة والفرح في أوضاع شبيهة بالسجن» كان قد أدمن على المخدرات، وكان منظره الجسمي رهيباً، وكانت حالته الصحية مفزعة، وكان يتغذى على طعام يزدريه حتى عامل في مخزن معتم. مات البليونير الناسك في ١٩٧٦/٤/٥ تاركاً كل شيء. والآن بعد أن مرّت بضع سنين، وإذا كان لأحد أن يذكر فريدي برينز أو هوارد هيوز يَتَساءَل الشباب ترى من كانا.

إن الشهرة والأمجاد الأرضية تبرهنان على فشل ذريع لمن يسعى وراءهما. هنالك الكثير مما يجب أن يُقدَّم للحياة من هذه الأمور، بل أكثر بكثير.

## المرآة، المرآة على الحائط

ثمة توسيع آخر للخطة الأولى، ألا وهو العيش للجسد، ها هنا إمرأة على سبيل المثال تتلخّص كل حياتها في صالة تجميل، فهي تعيش في عالم من كحل الأعين والرموش المستعارة وصبغ الشعر والحاجبين المُنقبين ومزيلات تجاعيد الوجه، إلى

جانب العطور، الزيوت المختلفة ومسوح الوجه. منضدة زينتها هي مذبحها. إنها تذكرني بجملة تقول «الكلُّ باطل» وأنت عندما تلقي عليها أول نظرة تراها إمرأة شابة جميلة تجلس أمام منضدة الزينة وتحدِّق النظر في المرآة بإعجاب، ولكن عندما تنظر إليها مرة أخرى، يبرز شكل جمجمة قبيح. إنها تذكرنا بحماقة الحياة من أجل الجسد الذي في غضون سنوات قليلة لن يصبح شيئاً إلا هيكلاً عظمياً.

وبطبيعة الحال، قد ينتمي الرجل أيضاً إلى خدعة الجسم الجميل، وقد يتصرَّف وكأنه إستأجر الحمّام مدة تسع وتسعين سنة مانعاً كل من يريد استخدامه. يحاول أن يدفع الكثير مقابل تصفيفة شعر، ويصرف الأموال محاولاً إخفاء مراحل الشيخوخة، يتدرَّب على رفع الأثقال ليس من أجل إظهار الكفاءة بل لإبراز عضلاته المفتولة، يلبس سروال الجينز من التصميم الحديث، يزيّن معصمه بسلاسل ذهبية وجواهر، ويكشف قميصه المفكوك الأزرار عن صدره الأشعر الذي يثبت، على ما هو مرجّح، أنه رجل كامل الرجولة، وكل شيء عنه محسوب بدقة لكي يُلفت الأنظار وهو الشيء الذي يدعوه بِ «الحياة».

لكن هل هذه كل الحقيقة؟ وهل هذا هو كل ما هنالك؟

## إنتزِع كلَّ المتعة

أضف إلى الخطة الأولى أولئك الناس الباحثين عن اللهو العازمين على العيش من أجل اللّذة والسفر والمأكل والترفيه عن النفس، هم ماضون في بحث مسعور يصل إلى نِسَب مريعة تقريباً في بعض الأحيان، وبين أولئك المتحمسون لكرة بيضاء صغيرة يطاردونها فوق مساحات شاسعة من الأراضي المكسوة بالعشب الأخضر، أو سائحون يندفعون بجنون من وإلى الطائرات والحافلات يفترسون المواقع بنَهم، ويلتقطون آلاف الصور ومن ثم يعودون إلى بيوتهم ليُضجروا أصدقاءهم بالصور والقصص عن الأماكن الأخّاذة التي تكاد تحبس الأنفاس، أو أولئك الذين إلههم بطنهم.

يرسم لنا ستانلي جونز صورة لكي يصف هذه الفئة الأخيرة من الناس بما لا يخطر على البال، ويكتب: «لاحظت وأنا على ظهر سفينة، شخصين سميني الجسم جداً، كانا غاضبين على خادمي المائدة لأنهما لم يقدما لهما الخدمة الفائقة، ويبدو أنهما كانا يخشيان أنه من الممكن أن يستبد بهما الجوع ما بين مراحل الوجبة

على المائدة، وبدا أيضاً أن شهيتهما الطبيعية كانت الشيء الوحيد الذي يهمهما. لم أرهم أبداً يقرأان في كتاب أو صحيفة، بل كانا يجلسان في الفترة الفاصلة بين الوجبات يحدقان النظر إنتظاراً كما يظهر للوجبة التالية. وذات ليلة رأيتهما جالسين يحدقان بِ لا شيء، عندما إلتمعت فكرة برّاقة في عقل الرجل البليد، توجه إلى الرفّ فوقَ الموقد وتناول الزهريات الموضوعة هناك، نظر بداخلها، ثم عاد إلى زوجته بالأخبار، إنها فارغة.

كدت أنفجر ضاحكاً، لقد كان على حق: إنها فارغة ولكن لم تكن الزهريات فارغة فحسب، بل روحيهما وذهنهما أيضاً. كان لديهما الكثير في محفظتهما، لكن لم يكن شيئاً في شخصيهما، وكان هذا عقابهما».

ربما علينا أن نضيف إلى هذه القائمة من الناس بليدي الذهن أولئك الذين يقضون حياتهم أمام التلفزيون، (وبالمناسبة، لماذا تظن ينادوهم بمشاهدي التلفزيون؟) إنهم يعيشون في عالم خيالي فكل شخص جميل المنظر، وكل واحد منهم يعيش في بلد المالبورو، ولكل واحد شخصية متألقة، متكئين على حافة سياراتهم الرياضية السريعة، لا شيء في جيلنا هذا أضَرَّ بالحياة الروحية مثل التلفزيون الذي تأثيره كارثي، تفوح منه رائحة الإساءة الجنسية والشهوانية المبطّنة، والتجديف، والجريمة والعنف، وهو يُدخِل كذلك إلى غرفة الجلوس الجنس خارج نطاق الزواج والبغاء واللواطه وسفاح القربى والطلاق والزنى والسادية. وفي كثير من الحالات، يُلمَّح بأن هذه أنماط مقبولة من السلوك، وبتمجيد الجانب الأقل فخراً في الطبيعة البشرية، فإنه يعمل على إدخال الفساد الأخلاقي إلى البيت.

يُعلِّم المربون أن التلفزيون يُقصّر من فترة الإنتباه لدى الأولاد، يجعلهم يهدمون قدراتهم على القراءة والكتابة واللغة مما يضرَّ بإنجازهم الأكاديمي.

يجعل التلفزيون حضور مدرسة الأحد أمراً شاقًّا ويبقي العائلات في البيت لمتابعة المسلسلات عندما يتعين عليهم حضور إجتماعات الكنيسة.

دَوِّنَها حقيقة ثابتة أن لا أحد يقضي وقته في مشاهدة ما يُبثُّ في التلفزيون دون تمييز أو يتلهّى بألعاب الفيديو، سيكون له أي تأثير لمجد اللّه.

**التركيز على العائلة**

ثمة طريقة أخرى في تخطيط الحياة تتمثل في تركيز كل شيء حول الأسرة. من المؤكد أن الزواج والأسرة هما من أعظم عطايا اللّه للجنس البشري، فهما يمثلان إرادته للأغلبية من الناس، وأن نتكلّم ضدهما كأننا نتكلّم ضد الأمومة.

لكن بعض الناس يجعلون منهما الهدف الرئيسي في الحياة. كثيراً ما يودِّع المسيح أتباعاً طامحين عند مذبح الزواج، قبل ذلك الوقت، كانوا يرون الرؤى ويحلمون الأحلام عن حياة تنسكب في خدمة مضحية من أجل الرب يسوع لكنهم أصبحوا الآن منشغلين بعالم الحدائق والستائر والحفّاضات، وحماسهم تجاه اللّه قد أخذ يخفّ بشدة وبشكل مفاجئ.

في مرحلة التودد مع النية الصادقة للزواج من شخص مؤمن، تبتدئ الفتاة بالتحدُّث بحماس عن الخدمة في حقل التبشير، ولكن إذا ما تزوجت، فغالباً ما تسود لديها الرغبة للإستكانة لأن رغبتها بالأمان لها ولأطفالها قد يضع المطامح الأخرى في المؤخرة، فإذا ما وضعت الزوجة نفسها في المكان الأول قبل المسيح في حياة الرجل فقد تهمله هو وكل ما يختص بالخدمة للرب، ونفس الشيء ينطبق على الرجل إذ يمكنه أن يعيق عمل زوجته الروحي إن كان طماعاً أنانياً وجسدياً.

ذات ليلة إصطحب سبيرجن الشاب خطيبته إلى قاعة إكستر في بريطانيا التي كان سيلقي فيها عظة إلى جماهير غفيرة. عندما وصلت المركبة إلى القاعة، كان يفكر فقط في المسئولية الجسيمة المترتبة عن إلقاء كلمة اللّه. شقَّ سبيرجن طريقه وسط الحشد تاركاً خطيبته سوزان تومسون تدخل وحدها. عندما انتهى من إلقاء عظته، أدرك أنه لم يرها بين الحضور، لذا توجه إلى منزلها حيث أُبلِغَ أنها لا تريد أن تراه. لقد كانت عابسة الوجه، إلا أن سبيرجن أصرَّ على أن يراها، فنزلت في آخر الأمر إلى الطابق السفلي وبعد الإعتذار قال لها: «من الأفضل أن نتوصل إلى تفاهم الآن. أنا خادم سيدي يسوع أولاً ويجب أن يكون الأول دائماً، وواجبي نحوه يجب أن يكون أولاً وأظنّ أننا سوف نحيا في منتهى السعادة لو كنت مستعدة أن تأخذي المكان الثاني، ولكن يجب أن يَظلّ المكان الثاني دائماً من بعده وإلتزامي نحوه هو الأول».

بعد سنوات، قالت السيدة سبيرجن إنها تعلمت في تلك الليلة أن هناك شخصاً ما يملك المكان الأول في حياة زوجها، وتأتي هي في المكان الثاني.

يجعل بعض المؤمنين تربية الأولاد الشيء الرئيسي في حياتهم. كان لرجُلٍ في الكتاب

المقدس ثلاثون إبناً وثلاثون إبنة وثلاثون كَنَّة، ويبدو أن هذا الأمر كان مطلبه الأساسي للشهرة ولعله أملَ في أنَّ تكثير النسلَ سيعوضه عن فشله وضعفاته.

ليس ثمة خطأ في إنجاب الأولاد، إنما يكمُن الخطأ عندما تكون جميع القرارات متعلقة بالأولاد فقط، لا يجوز حتى للعائلة أن تأخذ الأسبقية وتتجاوز إرادة اللّه أو تقيِّد الشخص طالما يدعوه اللّه بالتحرك.

يعلمنا الكتاب المقدس بوضوح المسؤوليات الجِسام التي تقع على عاتق الأزواج والزوجات، وعلى الأبوين والأولاد، لكن الإعتبار الأسمى هو للمسيح أولاً في كل الأوقات.

## ماذا بشأن الخطة الأولى؟

كنا قد اقترحنا عدة أولويات يمكن أن نتخذها عندما نصمِّم على أن نضع خطة لحياتنا، فقد نعيش لكي نصبح أثرياء، أو نُجمِّع ممتلكات مادية، أو أن نكون ناجحين في العمل أو المهنة، وأن نجِدَّ في سبيل الشهرة والأمجاد الدنيوية، أو أن نقوم بالتدبير للجسد والسعي وراء المسرات والسفر والتسلية أو إنشاء أسرة.

هل هذه أهداف جديرة بالجهد الذي نبذله فيها عندما نُفكِّر بقِصَر الزمن، وبحقيقة أننا ليس ملكاً لأنفُسنا، وبأن يسوع هو الرَّب وأننا وكلاء وإن الرجال والنساء يموتون من حولنا، وأن لدينا الجواب لأشدّ حاجاتهم إلحاحاً، وبأن الرب قد كلَّفنا التبشير بالإنجيل، وبأننا سنعطي عما قريب حساباً عند دينونة كرسي المسيح؟ فإن تبني الخطة الأولى يكون كإعادة ترتيب المقاعد على سفينة التايتانيك الموشكة على الغرق، أو إعادة ترتيب الصور في بيت يحترق، أو التشبث بالثانويات كالزحف بدل التحليق. سنصبح عبيداً بدل ملوكاً مركِّزين على الأمور الثانوية، مُشَغلِين أنفسنا بأمور لا فائدة منها.

سنكون مثل جورج آبلي الذي كتب عنه إ.س جونز قائلاً «عندما تجمَّع الأقرباء والأصدقاء حول سريره ليستمعوا لكلماته الأخيرة، سمعوا همساً رقيقاً «لا تُزعجوا شجيرات الورد» لقد عاش في عالم من شجيرات الورود، كان أمراً جيداً، ولكن ليس جيداً بما فيه الكفاية، وكان قد انشغل بشؤون بالغة الضآلة بالنسبة لإبن أبدية». إن الناس الذين يختارون أي شكل من أشكال الخطة الأولى ينشغلون بشؤون في منتهى التفاهة بالنسبة لمن سيصبح ملكاً.

## الخطة الثانية: سِر مع التيار

هناك طريق ثانية للمؤمن ليستجيب مع قضايا الحياة الكبرى بأن يكون مستسلماً ويقبل بما يأتي. هذا الشخص يتبع الخط الأقل مقاومة. إنه ينساق مع التيار ولا يتوصل إلى إتخاذ إجراء حازم. هذا الرجل يشبه ميزان الحرارة وليس جهاز تنظيم الحرارة، إنه يعكس حرارة بيته ولكنه لا يعمل شيئاً ليؤثر عليها أو يغيّر أرقامها ويترك الوضع كما هو عليه. لم يُصلِّ أبداً كما صلَّت إيمي كارمايكل: «لا تجعلني أغرق وأصبح كتلة طين. إجعلني وقوداً للهيبك يا اللّه». وعليه، فهو كتلة من طين، مصنوعاً على صورة اللّه وشبهه، راضٍ بأن يكون كتلة من طين، ثم هو لا يترك آثار قدم على رمال الزمن، وعندما يمر فكأنه لم يمر أبداً.

إنه إنسان بدون مطامح روحية، ولعله قد واجه التحدي ليحدد لنفسه أهدافاً قصيرة أو طويلة المدى، لكنه لم يملك الإرادة للتَّغَلُّب على البطالة، إنه يعمل لكي يكسب أجراً يشتري به الطعام ليَقوى على العمل ويكسَب أجراً ويشتري الطعام وهكذا يظل يعمل على نمط واحد حتى نهاية حياته.

يصف جويت هذا الإنسان بذلك الذي يقود حياة تافهة لكي يتجنّب الكثير من الأحزان. «حقاً إذا كان مطمع الإنسان أن يتجنب هموم الحياة، فإن الوصفة بسيطة جداً: دعه يطرح مطامحه في كل إتجاه، دعه يَقُصَّ أجنحة كل هدف محلِّق، ويجتهد في بناء حياة صغيرة... وهذا بالحق يجعل العديد من المسيحيين الإسميين يمضون في الحياة بكل يُسر وبأقل ما يمكن من معرفة الضيقات، ذلك لأنهم قلَّصوا نفوسهم إلى أدنى حدّ بحيث أن تقدمهم الإنساني طوال السنين لا يختلف عن تقدم وحيدة الخلية (الأميبا)».

أعتقد أن جميعنا نتفق على أن هذا مسلك سيءٌ لمن خُلِق على صورة اللّه ومثاله.

## الخطة الثالثة: توّج يسوع رباً على حياتك

إن الإمكانية الثالثة والوحيدة المعقولة أكثر من سواها هي بأن يسلِّم المؤمن مقاليد حياته لقيادة الرب، أدعوها تكريساً أو إلتزاماً كلياً، مقدماً جَسدك ذبيحة حية أو طالباً ملكوت السماء أولاً، وأياً ما سمَّيتها، فإنها تعني أن تعيد تسليم حياتك للرب بحيث يستطيع أن يفعل بها ما يرضيه.

وأنها تعني إختيار إرادته بدل إرادتك،

وأنها تعني أن تخسر حياتك لأجله ولأجل الإنجيل،

وأنها تعني أن تقدم له إخلاص قلبك ومحبة نفسك.

## التسليم الأولي

تبدأ عملية التسليم إلى الرب عادة بإختبارك أزمة، ما الذي نعنيه بِ «أزمة؟» نقصد بها وقتاً محدداً يكون فيه الشخص لوحده مع اللّه وعندها يتَّضح له، على ضوء ما عمل الرب من أجله، أنه لا يوجد أمامه خِيار سوى أن يقدم كل شيء له، وقد يشمل ذلك فترة من الصراع، ولكنه يتوقف بعد ذلك عن أن يتعلَّق بحياته، ويضعها على مذبح التقدمة. يبدو أن هذا هو العمل العقلاني الوحيد والمنطقي والصائب الذي يستطيع أن يفعله.

من المفضَّل القيام بهذا الإختبار حين تجديدنا، كما فعل شاول الطرسوسي، ولكن قد يستغرق الأمر عند بعضنا وقتاً أطول لكي نتوقف عن محاولة تخليص أنفسنا وحينئذ نُصمِّم أن نخسرها لأجل المسيح والإنجيل.

مرَّت بيتي سكوث بأزمة التجربة هذه عندما كانت طالبة في كلية للكتاب المقدس، فقد كتبت على ورقة بيضاء في أول صفحات كتابها المقدس «يا رب، إني أتخلى عن كل غاياتي وخططي، وعن كل رغباتي وآمالي وطموحاتي (الجسدية أو النفسية) وأقبل إرادتك لحياتي، وإني لأعطيك نفسي وحياتي وكل ما أملك ليكون لك إلى الأبد، وإني لأسلِّم كل صداقاتي ومحبتي لعنايتك، وسوف أعطي المكان الثاني في قلبي لكل الناس الذين أحبهم، فاملأني واختمني بروحك القدوس، إعمل كل إرادتك في حياتي، مهما كلف الثمن، الآن وإلى الأبد لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ (فيلبي١:٢١)». وبعد حين تزوجت من جون ستان ذَهَبَ كلاهما كمبشرين إلى الصين. أما قصة كيف استخدمهما اللّه في الحياة والموت فكُتبت في كتاب بعنوان، «نصرة جون وبيتي ستان».

كان وليم بوردن، من أفراد عائلة مشهورة بمزارع الماشية، وقد ترك كل شيء ليتبع المسيح وقد صلّى، «يا رب يسوع أرفع يداي عن كل أمر، بقدر ما يتعلق

بحياتي، أجعلك تجلس على عرش قلبي. غيِّرني، نقِّني واستخدمني كما تشاء، بكامل قوة الروح القدس. أشكرك يا ربي.»

عندما قرر ألكساندر وايت، خادم كلمة إسكتلندي، والذي يُدعى أحياناً بآخر جماعة المنفصلين (بيوريتنس)، أن يتنازل عن كل شيء لأجل المسيح، كتب يقول: «إجعلني من الآن فصاعداً أن أُجلِس المسيح فاديّ وملكي على عرش قلبي، واجعلني أحافظ على كل باب في جسدي وكل سبيل لذهني، على ألا تكون مُلكي بل مُلكَه، إجعلني أفتح عيني وأذني وفمي، وكأني فيها كلها أفتح عيني المسيح وأذني المسيح وفم المسيح، وبينما يسكن فيّ، لا تجعلني أفرِض عليه شيئاً يُخجِله أو يغضبه أو ينجسه ويلوِّثه. سأنضم إليك يا بولس بأن يكون جسدي، من الآن فصاعداً، هيكل المسيح وبأني لست لنفسي، لأنني اشتُريت بثمن يشُدّ الفكر، ولذلك علي أن أمجد اللّه في جسدي وفي روحي اللذان هما مُلكٌ للّه».

وإذا ما عُدنا بالذاكرة إلى الماضي، قال تشارلز سبيرجن، أمير الوعّاظ، عن تسليمه: «في ذلك اليوم عندما سلمت نفسي لمخلصي سلمته جسدي وروحي ونفسي، أعطيته كل ما أملك وكل ما سأملك للزمن الحاضر وللأبدية. سلّمته كل مواهبي وكل قواي ومقدراتي الفكرية، عيناي وأذناي، أطرافي وعواطفي، دينونتي وكلّ رجولتي وكل ما يمكن أن يتأتّى منها» (وبعد سنوات قال عنه أ.ت بيرسون أنه بكل ما أوتي من عقل وكل ما أعطاه اللّه من فُرص، بذل سبيرجن كل ما يستطيع).

قال جيم إليوت، أحد الشهداء الخمسة في الإكوادور، كما لو أنه يتنبأ، «إن كنت أبغي الإحتفاظ بحياتي، وأُمسكت عن سكبها كذبيحة بعكس مثال ربي، لتعيّن علي حينئذٍ أن أحسَّ بقسوة وجه اللّه يقاوم قصدي بعناد. يا أبتاه، خذ حياتي، بل خذ دمي أيضاً، إن شئت، وأحرقها بنارك العارمة، لن أحتفظ بها لأنها ليست لي لأنقذها. خذها يا ربَّ خذها كلّها، أسكب حياتي قرباناً لأجل العالم فإن للدم قيمة فقط عندما يُسكب أمام مذبحك».

إن أزمة خطوة التسليم هي الخطوة المعقولة الوحيدة التي يمكن أن نتخذها إستجابة لما فعله المسيح لأجلنا: «إن الخيوط المجدولة لمراحم اللّه المضفورة في حبل غليظ متين يفي بالحاجة ليثبِّتُنا إلى مذبح التقدمة، ليس بمقدورنا عمل شيء آخر. إن محبة المسيح تحصرنا، روح المسيح يهيمن علينا، نعمة المسيح تبقينا

مفتونين، راسخين غير متزعزعين. فمن الآن فصاعداً لا ندَعْ أي إنسان يزعجنا، المسيح وفقط المسيح هو محبتنا» ( ف. ب. ماير).

عندما نمسك، فإننا نهين الرب. قالت الليدي بويرسكورت وهي سيدة إيرلندية تقية من القرن التاسع عشر: «إنها لتبدو إهانة لذلك الحب الذي أعطانا كل شيء أن نقول أننا نحبه وفي نفس الوقت نتوقف عن الإحتساب في إعطاء كل شيء له. ففي حين أن كل ما نملك ليس سوى فلسين، بينما هو يملك السماء والأرض والأبدية وذاته لذا من الأفضل ألا نحبّ على الإطلاق، وأفضل أن نكون باردين من أن نكون فاترين».

أشار روبرت ليدلو، وهو صاحب متجر كبير في أوكلاند، نيوزيلندة، ومؤلف لكتيِّب مقروء بكثرة بعنوان «السبب لماذا» على أنه يوجد نقص إخلاص في تكريس النفس الخالدة للّه من أجل الخلاص، بينما نحتفظ لأنفسنا بالحياة الفانية. إننا نجرؤ على أن نثق به ليخلصنا من الجحيم ويأخذنا إلى السماء، لكننا نتردد في السماح له بقيادة حياتنا هنا على الأرض في الزمن الحاضر.

كان أحد طلاب مدرسة اللاهوت جاثياً على ركبتيه يصلي ويتصارع مع اللّه حول مسألة التسليم الكامل، فصرخ بألم شديد نابع من نفسه: «يا رب، لا أستطيع أن أقوم بهذه الخطوة! أنت تعلم أنني لا أستطيع القيام بها!» قاطع زميله في الغرفة صلاته قائلاً: «ما الأمر أتخشى البركة؟» إن أولئك الذين يمسكون عن التسليم الكامل للمخلص يُنكِرون على أنفسهم أحد أعظم البركات السماوية.

عندما نفشل في تسليم القيادة للرب، نكون بذلك عاملين ضد أفضل مصالحنا، دعني أوضح ذلك: في أواخر السبعينيات من القرن الماضي طوَّرت البحرية الأمريكية طريقة آلية لهبوط الطائرات المقاتلة على ظهر حاملات الطائرات. وكما ذكرت مجلة ناشيونال جيوغرافيك، «يرفع الطيار يديه عن أجهزة القيادة ويجلس بينما تهبط الطائرة على ظهر السفينة، يترنح ويرتجف بينما تصحح أجهزة الحاسوب مسارها بالتزامن مع تحرُّكات مدرَج الطيران على سطح الحاملة» كان من الضروري للطيّار أن يرفع يديه عن أجهزة القيادة ويثق بجهاز الحاسوب لكي تهبط الطائرة بسلام. كم هو مهم أكثر بالنسبة لنا لو نتخلّى عن قيادة حياتنا ونجعل الرب يتولى الأمر، واثقين بحُكمه الإلهي الأسمى.

هذه إذاً هي الخطوة الأولى: «أعط الرب كل ما عندك، فلا أنصاف معايير،

ولا قطع مكسورة، ولا تحفُّظات، ولا أن تحتفظ بجزء من الموهبة وتدّعي بأن هذا الجزء هو الكلّ. هنالك وحْدَةٌ مُؤثرةٌ وبسيطة بما يتعلق بالحياة التي تحب وتخدم اللّه من كل القلب بلا مُعوِّقات، إن حياة كهذه لا يمكن أن تتخلّى بسهولة عن حبها الأول.» (مؤلف مجهول)

## إستمرارية تجديد التكريس

لكن يجب أن يتبع الأزمة عملية ما، إذ لا يكفي أن نقوم بالإلتزام مرة واحدة بل ينبغي أن نجدد تكريسنا يوماً فيوماً، وإلا فإننا نكون وكأننا نقدم جسدنا على المذبح اليوم ومن ثم نَفزَع عندما نرى هذا الجسد البائس وهو يحاول الزحف للنزول عن المذبح في الغد.

وصفت السيدة آنا جين جرانيس عملية الإلتزام اليومية كالتالي:

ليتخلّى قلبي عن الذات — لكي يَملُكه ربي الحبيب
ليُهيأه له من جديد — ويجعل منه منزلاً له
أعرف ما ينطوي عليه ذلك
أتسلل في كل هدأة صباح — إلى تلك الحجرة السرية
وأترك إرادتي معه هناك — فهو يأخذها بلطافة سَويّة
بينما يقدم لي إرادته
عندها أستعِدُّ لقدوم النهار — وكل عمل يأتي به اليوم
هكذا يقود سيدي — إهتماماتي وكل ما عندي
لأننا نلتقي عند الفجر — لنتبادل إرادتي بإرادته

يقتبس هارولد وايلدش في إحدى كتبه وصفاً رائعاً حول كيف نجعل تكريسنا ممارسة يومية فيقول:

«عندما تتخلص من عبء خطيئتك وتتَّكل على عمل المسيح الكامل، أترك كل عبء حياتك وخدمتك وتوكَّل على عمل الروح القدس العامل فيك الآن، تخلى عن نفسك في كل صباح لكي تنقاد بالروح القدس وانطلق بالتسبيح والراحة داعياً إياه لكي يدبِّر أمرك ويومك، نمِّ هذه العادة بفرح طوال النهار معتمداً عليه، مطيعاً إياه، متوقعاً منه أن يُرشدك وينير فِكرك ويُوبِّخك ويُعلِّمك

ويستخدمك ويعمل بكَ ومعك ما يريد، إعتمد على عمله كحقيقة إعتماداً كلياً بغضّ النظر عن ما تراه أو تحسّ به. لنثق بالروح القدس فقط ونطيعه بإعتباره قائد حياتنا ولنتوقف عن بذل الجهد في محاولة لإدارة دفة حياتنا، حينئذٍ يَظهر فينا ثمر الروح بحسب إرادته ولمجد اللّه».

## ماذا سيحدث؟

قد يسأل سائل عند هذه المرحلة، «ماذا سيحدث بعدئذ؟ لنفرض إنني خضت أزمة التسليم وأقوم يومياً بتسليم ذاتي للمخلص، فماذا بعد؟ هل أجلس طوال النهار أرتشف المرطبات منتظراً أن يحدث أمر مثير؟

بالعكس تماماً، بل إبقِ نفسك منشغلاً تعمل ما تجده يداك لتفعله، مبرهناً على إخلاصك بإنشغالك اليومي وفي خدمة كنيستك المحلية. أدرس الكلمة، وطوِّر حياة صلاة فعالة وفتِّش عن الفرص لخدمة المسيح وشعبه.

سيرشدك اللّه وأنت تتقدم لخدمته، تماماً مثلما يسْهُل توجيه سفينة أو دراجة فقط وهي تتحرَّك، هكذا يستطيع اللّه أن يرشدك عندما تقوم بخدمته بفعالية.

إنه لن يكشف لك عن مخططه الكامل دفعة واحدة، ولكن عندما تصل إلى كل مفترق طرق في الحياة، سيكون هناك لكي يوجهك وتأخذ الخطة في الإنكشاف خطوة خطوة، حتى إذا ما وصلت إلى نهاية الحياة يكون باستطاعتك القول: «لقد قادني يسوع كل الطريق»، ويكون باستطاعتك أن تعود بذاكرتك إلى الماضي وتدرك كيف أنه قبِلَ ذبيحتك وحقَّق إرادته الكاملة في حياتك.

أُصيب مهندس احد الجسور الكبيرة في مدينة نيويورك إصابة خطيرة بينما كان الجسر في طور البناء، فرقد في المستشفى لفترة من العلاج والنقاهة مع أنه لم يكن يتمتع بها، أخيراً تمَّ بناء الجسر، ولما حان يوم حفل التدشين، كان المهندس متعاف بما فيه الكفاية ليُنقَلَ في سيارة إسعاف ويوضع على نقّالة عند حافة النهر، ولما نظر إلى البناء المتكامل لمعت عيناه بالرضى وقال: «إنه بالضبط وِفقَ المخطط.»

هذا هو الهدف الذي ينبغي أن نسعى إليه أنت وأنا، بحيث أنه عندما يقارن الربّ خطته لحياتنا بالتطور الفعلي يمكنه أن يقول: «إنه بالضبط وِفقَ المخطط».

نفترض أنك تقوم بتسليم حياتك للرّب وتحيا له يومياً، فهل هذا يعني أنك

لن تواجه المزيد من المشاكل؟ كلا، بل ستظلّ تواجه المشاكل، ولكن إن لم تُسلِّم القيادة له، فلن تلقى شيئاً إلا الصعوبات.

ثمة فكرة أخيرة، لن يجبرك الرب على أن تعطيه المقام الأول في حياتك، فإن كنت تريد أن تختار طريقك الخاص، فسيسمح لك بذلك، وإن كنت لا تريد البركة الناجمة عن إتّباعه فسوف يجد الكثيرين غيرك ممن يطلبونها، ولكن إعلم هذا! فإنك لن تجد مسيحاً آخر أفضل كي تتبعه.

## وقت التصميم

حان الآن زمن إتخاذك القرار. فإن لم تكن مسيحياً حقيقياً، ألا تتوب الآن عن خطاياك وتقبل يسوع المسيح رباً ومخلّصاً لك؟ ولكي تفعل هذا عليك أن تتنازل عن كل أمل آخر من أجل نوال أو إستحقاق الخلاص. عليك أن تؤمن بأن الرب يسوع المسيح مات لكي يدفع عقاب خطاياك، وبعملِ إيمانٍ حاسمٍ عليك أن تقبله رجاءك الوحيد للسماء. ألا تفعل هذا الآن؟ أو ربما تكونُ مسيحيًّا، وقد سَلَّمت حياتك للمسيح لأجل خلاصك، لا من أجل تقديم خدمة. هنالك مجالات في حياتك خارج نطاق صلاحياته لا تزال تمسك بقبضتك على زمام الأمور بقدر ما يتعلق ذلك بحياتك الأرضية، فإن كنت كذلك، فإن الآن هو الوقت الذي عليك أن تسلِّمه نفسك تسليماً كاملاً، وإذا كنت تبحث عن الكلمات لتُعبِّر عن رغبتك هذه، فلم لا تردد كلمات تلك الترانيم التي نرنمها كثيراً؟

*بم أكافي منقذي* — *من سلطة الخطية*
*إلا بتكريسي لـه* — *نفسي وكل قـــوتي*

أو هذه الأبيات من ترنيمة أخرى

*ماذا أنا أهدي لمن* — *قد مات عن ذنبي*
*وكـيـف أبـدي في* — *العلن إذاً له حبي*
*أُعطي يسوع قوتي* — *مالـــي وإقـدامي*
*مكرساً في خدمتي* — *جـــميـع أيامـــي*

وهذه الأبيات التي تتكلم عن سفك دمائه من أجل خلاص البشر:

*نهر حب جارفٌ قوي* *جرى من جنبك الطَّعين*

*فدماك تحمل الخلاص* *لكـــــل خـاطـئ أثـيـم*

وهذه الأبيات عن ما عاناه الرب وهو يفكر بنا وبنجاتنا ووعدنا بتقديم قلوبنا:

*هل قلبك الرقيق* *قد سال بالدموع*

*حزناً على خطاي* *يا سيدي يسوع*

*قلبي أقـــــدِّم* *مع أعمق الشُّكرِ*

*لك أنـــا يسوع* *فاملكني للدَّهرِ*

وهذه أيضاً التي تذكرنا بأن ما عاناه الرب من آلام كان من أجلنا:

قاسيتَ هَولَ الموتِ إِذْ سُمِّرتَ بالصَّليبْ

أَمـواجُـهُ عـجَّـتْ عـلى رأسِكَ يا حَبيب

فـكُـلَّ ذا قـاسَـيـتَ مِنْ أَجلِ خـطايـانـا

وإِن نَـسـيْـنـاكَ فـمـا كُـنـتَ لتنسانا